

أ.د. فلاح محمد عزيز

Remove Watermark Now

# شَجَرَةُ الْخُلْدِ

(أو قصةُ استخلافِ آدَمَ)





# شَجَرَةُ الْخُلْدِ

(أو قصةُ استخلافِ آدَمَ)

pdfelement

أ.د. فلاح محمد عزيز

جامعة صلاح الدين - أربيل

2020



## توضيح للقارئ الكريم

يَسُرُّنِي أَنْ أُقَدِّمَ لِقَرَّائِي الْأَعْزَاءِ هَذِهِ الرِّوَايَةَ أَوْ الْقِصَّةَ الَّتِي تَحْكِي قِصَّةَ خَلْقِ آدَمَ وَاسْتِخْلَافِهِ فِي الْأَرْضِ، وَالَّتِي جَعَلْتُ غَايَتَهَا دِينِيَّةً، لِأُرَكِّزَ عَلَى الدَّورِ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِهِ، وَأَجْعَلَ الْقَارِئَ يَعِيشُ فِي الْجَوْ الَّذِي دَارَتْ فِيهِ تِلْكَ الْأَحْدَاثُ، فَمَعَايِشَةُ جَوْ الْحَدَثِ تُسَهِّمُ كَثِيرًا فِي فَهْمِ وَقَائِعِ الْحَدَثِ.

اعْتَمَدْتُ فِي صِيَاغَةِ الْأَحْدَاثِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْمُوثِقَةِ، وَهِيَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحَادِيثُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُعْتَمَدَةِ، وَمَا تَبَقِيَ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَقْوَالٍ وَحَوَارَاتٍ، فَقَدْ اجْتَهِدْتُ أَنْ أُسْرِحَ بِخَيَالِي فِي صِيَاغَتِهَا بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ نَصِّ، أَوْ يَقْلُلُ مِنْ مَكَانَةِ أَبْطَالِ الْقِصَّةِ.

لِذَا أَوْدُ أَنْ أُبَيِّنَ الْقَارِئَ أَنْ لَا يَتَّخِذَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَصْدَرًا تَارِيخِيًّا، فَهِيَ قِصَّةٌ تَتَجَهُّ نَحْوَ السَّرْدِ الرَّوَائِيِّ وَلَيْسَ السَّرْدُ التَّارِيخِيُّ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ اسْتِعَانَتِي فِي بَعْضِ التَّفَاصِيلِ بِمَا وَرَدَ فِي كُتُبِ

التاريخ، والتي يؤخذ منها ويُردُّ، إلاّ أني تحاشيتُ بعضَ الفقراتِ التي لا يتقبَّلُها العقلُ أو المنطقُ السليم، والتي لا يُقلِّلُ التغاضي عنها من قيمةِ القصة.

سيجدُ القارئُ كثيراً من التفاصيل التي لم تذكر من قبل، ولكي، كما قُلْتُ آنفاً، أن ما ذكرته لا يعارض نصوصاً مذكورةً في كتابِ الله تعالى وأحاديثِ نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي مما يُتوقعُ أن يحدث لأبطال القصة كما سبق ، وإن نصّت النصوص على حدوثها لغيرهم، فصياغة الأحداث في ضوءها لن يُخرجَ بالكاتبِ الى المحذور والمحذور. وختاماً أرجو أن ينفعَ الله بهذه الرواية القارئ، ويُمَتِّعَهُ بقراءتها، وينالنا منها الأجر والثواب.

## ما قبل آدم

كان زمنٌ، لم يكن فيه الإنسانُ شيئاً مذكوراً، لأنَّه لم يكن مخلوقاً بعدُ، ولم تكن هناك سمواتٌ ولا أرضٌ، كان الله، ولم يكن قبله شيءٌ. ثمَّ شاءَ هذا الإلهُ الواحدُ أنْ يخلقَ الأرضَ لغايةٍ، فخلقها وقَدَّرَها وهيَّأها لتحقيق تلك الغاية. ثمَّ اتَّجهَ للسماءِ وهي دخانٌ، فخلقها سبعَ سمواتٍ، كلُّ سماءٍ أكبرُ من أُخْتِها، وزَيَّنَ السماءَ الأقربَ إلى الأرضِ بنجومٍ وأقمارٍ، ثمَّ خلقَ الكرسيَّ والعرشَ، ثمَّ استَوَى على عرشه، يديرُ ويدبِّرُ ويراقبُ ويشرفُ على أمورِ خلائقه وشؤونهم.

وخلقَ الملائكةَ الأطهارَ، خلقهم من نورٍ، لا يعرفون المعصية ويفعلون ما يؤمرون، يتلقَّون أمرهم منه حصراً دونَ سواه. ولم تكن الملائكةُ في البنية والتكوينِ والمهماتِ سواء، ولهم أجنحةٌ ضخام، ولكلِّ ملكٍ وظيفةٌ موَكَّلٌ بها، فمنهم مسؤولٌ عن حركة الرياح،

ومنهم عن نزول المطر، ومنهم عن سير الجبال واستقرارها،  
 فالأمور كانت تجري على بُعدين: بُعدٌ ظاهري، وهي سنُّ الله  
 وقوانينه، وبُعدٌ غيبي، وهو ما يجري من وراء ستار الغيب. وهناك  
 ملائكةٌ مقربون يحملون عرشَ الرحمن، وملائكةٌ مطهرون يحرسون  
 النسخَ الأصلية للكتب الإلهية المنزلة على الرسل والأنبياء من أن  
 تعبثَ بها الشياطين، وملائكةٌ خزنةٌ لجهنم، وملائكةٌ مقيمون في  
 الجنان لاستقبال الوافدين وإرشادهم لقصورهم وإكرامهم، وملائكةٌ  
 حَفَظَةٌ للأعمال، يُسجّلون كلّ ما يقوم به خلقُ الله ويرفعونه  
 للسماء، وملائكةٌ ينزلون بمهماتٍ متعددة، وملائكةٌ يرفعون لله كلّ  
 ما يحدث في الأرض والسموات. فَمَعَ أَنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ ما يجري  
 من أمورٍ صغيرها وكبيرها، إِلَّا أَنَّ مِنْ سُنَّتِهِ أَنْ يُوَثِّقَ كُلَّ شَيْءٍ  
 وَيُحْصِيَ وَيُسَطِّرَ كُلَّ شَيْءٍ، ولم يكنْ لِيَقِيمِ الْحُجَّةَ عَلَى أَحَدٍ بِعِلْمِهِ  
 بَلْ بِمَا هُوَ مَسْطُورٌ وَمُسَجَّلٌ فِي كُتُبِهِ. وهناك ملائكةٌ موكلون بنزع  
 الأرواح عند الموت ومُرافقتها إلى بارئها. وتَبْقَى بعد ذلك أعداد لا  
 تُحصى من الملائكة، تملأ أرجاء السموات والأرض، يُسَبِّحُونَ  
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي كُلِّ آنٍ، لَا يَفْتَرُونَ وَلَا يَتَعَبُونَ وَلَا يَمَلُّونَ.

ولكي يجعل الأرضَ مهيةً لاستقبال الحياة وما يدبُّ عليها من  
 خلّائق، ومميّزةً عن بقية الكواكب، فقد قَدَّرَ اللهُ لها صفاتٍ تُسهِّلُ

لها هذا الدور، من حيث موقعها من الشمس والقمر، وسرعة وزاوية دورانها وحجمها و شكلها وعدد أقمارها وشمك غلافها وشدة جاذبيتها وطول ليلها ونهارها.

وبعد أن أتمَّ الله بناء السموات والأرض، وقبل انطلاق حركتهما، خيَّرهما بين أمرين، أن يتحركا وفق إرادتهما، أي يمنحهما الحرية والاختيار في اتخاذ الحركة والفعل، أو أن يسيرا وفق ما قدَّر لهما خالقهما. وناداهما: أنتم تُخيِّرون بين الطاعة مُجبرين وبين اختيار الطاعة، فكان جوابُهُما حاسماً: قد اخترنا الطاعة، ولا نتجراً على تجربة الاختيار، لأن الانحراف عن طاعتك في ظل الاختيار أمرٌ محتمل، ونحن لا نطبق أدنى انحراف، لعلمنا بقدرتك وجبروتك وبطشك، وماذا يمكن أن تفعل إذا ما غضبت.

أبجَّهت إرادة الله إلى اختيار كائنٍ يُسند إليه هذا الدور، دور الحاكم عن الله وخليفته في الأرض، حاملاً لتلك الميزة العظيمة، ميزة حرية الاختيار، فمن دون وجود مساحةٍ من الحرية وبعض الصلاحيات لا يصبح للخلافة معنى.

فمنْ يا تُرى سيفوز بهذه المهمة الكبرى وهذا الدور العظيم، ومن هو هذا المخلوق الذي سيتفضل الله عليه ويكرِّمه بأن

يُكَلِّفَ بِمُهِمَةِ تَعْمِيرِ الْأَرْضِ وَإِصْلَاحِهَا عَلَى وَفْقِ الْمَنْهَجِ الْإِلَهِيِّ  
عَنْ رَغْبَةٍ وَاخْتِيَارٍ، مَعَ تَقَبُّلِ كُلِّ تَبَعَاتِ هَذَا الدَّورِ الْخَطِيرِ، مِنْ  
تَقْيِيمٍ وَتَكْرِيمٍ وَثَوَابٍ عِنْدَ النِّجَاحِ، وَعَقُوبَةٍ وَعَذَابٍ عِنْدَ التَّقْصِيرِ؟.



## الإنسان الأول

جمع الله ملائكته وأخبرهم بالنبأ العظيم...

يا ملائكتي الكرام!

كما تعلمون، فأنتم مجبولون على الطاعة، وإني أريد أن أخلق كائناً أسند إليه دوراً عظيماً وهو خلافة الأرض، كائنٌ حرٌّ، أمنحه مساحةً من الحرية والاختيار لاتخاذ ما يشاء من قرار، وفق ما أوجي إليه من دينٍ ورسالةٍ ومنهج حياة. هنا جفلت الملائكة من الخبر، فمن هو هذا المسكين الذي سيُسند إليه هذا الأمر الخطير؟ وبحق إنه لأمرٌ خطيرٌ، فمعنى أن تكون له حرية الاختيار، أن يخطئ ويذنب أحياناً، وينحرف عن أمر الله، أي سيواجه أقوى قوة في هذا الوجود، وسيعرض نفسه لعقابٍ لا تتصوره العقول، فهم أكثر

الخلق معرفة بالله وَسَطُوتِهِ وبطشه، لذا فقد فرغت الملائكة من هذا الأمر، وأرادوا أن يُجَنَّبُوا هذا الكائن الجديد هذا الدور الخطير.

قالوا: إلهنا! إِنْ كَانَ مرادُكَ مِنْ خَلْقِ هذا الكائن أَنْ يَعْبُدَكَ وَيَسْبِّحَكَ، فها نحنُ عبادُكَ وخلقُكَ، خاضعون لأمرِكَ، نَسْبِّحُكَ بالليل والنهار لا نفتر ولا نَمَلْ، وَمَنْحُ هذا الكائن بعضَ الحرية، قد يجعلُ الأمرَ في الأرضِ فوضى، فقد تتصارعُ الأهواءُ، وتتقاطعُ المصالحُ، وتسيلُ في سبيلِ ذَلِكَ الدماء. قال لهم الله: أنتم ملائكتي الأطهار، مجبولون على طاعتي، لا تملكون الانحرافَ عن أوامري، ولكني أريدُ خلقاً من نوعٍ آخر، خلقاً له أن يُطِيعَ، وله أن يعصي، وهذا هو سرُّ خلقهم، وهم مسؤولون عن تبعاتِ أعمالهم، وسأَجْعَلُ لهم ثواباً وعقاباً، كما أَنَّ رحمتي سبقتُ غضبي، وسأمنح هذا الكائن كلَّ رعايتي وعوني، وأمدُّه بالوسائل التي سَتُمَكِّنُهُ من النجاح، وهناك أمورٌ كثيرةٌ تجهلونها ولكني أعلمها، تجعلني أمضي في اختياري لهذا الكائن.

لم تعرف الملائكة حتى لحظة ذلك الحوار شخصية الكائن المرتقب، هل هو موجودٌ وتمَّ خلقه أم أَنَّ الله سيخلقه؟ كانوا في ترقبٍ واشتياقٍ لمعرفة الكائن الجديد، وليطمئنوا كذلك على مستقبله، فهم لم يستوعبوا بعدُ وجودَ كائنٍ يمتلكُ حريةَ اختيارٍ

فَرَارِهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَن يَمْنَحَهُ هَذَا الدَّورَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخِيَّرَهُ بَيْنَ الْقَبُولِ  
وَالْإِبَاءِ، فَهَاهُنَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ قَدْ عُرِضَ عَلَيْهِمَا الْأَمْرُ، فَأَبَيَّنَ  
أَنْ يَحْمِلْنَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ الْخَطِيرَةَ وَلَمْ يَقْبَلْنَ هَذَا الدَّورَ الْخَطِيرَ، وَ اللَّهُ  
لَمْ يُجْبِرْهُمَا عَلَى ذَلِكَ.

وَصَلَ نَبَأُ هَذَا الْكَائِنِ الْحَدِيدِ إِلَى الْجِنِّ، وَهُمْ خُلِقُوا قَدْ مَنَحَهُمُ  
اللَّهُ مَسَاحَةً مِنَ الْحَرِيَّةِ، لَكِنِّهِمْ كَالْمَلَائِكَةِ، لَمْ يَكُونُوا يَصْلَحُونَ لِهَذَا  
الدَّورِ لِأَنَّهُمْ كَائِنَاتٌ غَيْبِيَّةٌ، وَالْكَائِنُ الْمَطْلُوبُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ  
مُخْتَلَفًا، فَلِكُونِهِ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، يَجِبُ أَنْ يَسْتَطِيعَ التَّعَامُلَ مَعَ  
الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ، أَمَّا الْمَلَائِكَةُ وَالْجَانُ فَبِسَبَبِ  
تَكْوِينِهِمْ وَبَنِيَانِهِمُ الْغَيْبِيِّ، لَمْ يَكُونُوا لِيَصْلَحُوا لِهَذَا الدَّورِ.

لَمْ يُبَدِّ أَغْلَبُ الْجِنِّ اعْتِرَاضًا أَوْ امْتِعَاضًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِلَّا كَائِنًا  
وَاحِدًا، يُدْعَى إِبْلِيسَ، كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْمُنْتَظَرُ  
وَالْمَكْلَفُ بِهَذَا الدَّورِ، لِذَا كَانَ فِي تَرْقُبٍ شَدِيدٍ وَانْتِظَارٍ أَنْ يُكَلَّفَ  
هُوَ بِالْمَهْمَةِ، فَقَدْ كَانَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَا يَجْعَلُهُ مُرَشَّحًا لِهَذَا الدَّورِ  
الْخَطِيرِ.

خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ وَمَكُونَاتِهَا، فَسَمَّاهُ  
آدَمَ، وَانْتَشَرَ خَبْرُ خَلْقِ آدَمَ، وَحِينَ عَلِمَ إِبْلِيسُ بِالْأَمْرِ امْتَلَأَتْ

نفسه حسداً وإحباطاً، فقررَ الذهاب لمشاهدته، وحين رآه، استبعد أن يكونَ هذا هو الكائن المنتظر، فكيف يُسند هذا الدور الخطير والمكانة المتميزة لكائنٍ مخلوقٍ من طين، محدود الأبعاد، ويتركُ الله مخلوقاتٍ بعضها خلق من نارٍ وبعضها من نورٍ؟ رأى إبليسُ نفسه أكبرَ من هذا الكائن، وحتى لو كان هذا هو الكائن المنتظر، فهو قادر بما لديه من إمكانيات أن يسيطرَ عليه، ويجعله لجانبه، ويجرّه للانحراف فيفضّل مهمته، ومن ثمّ قد يُسندُ الله إليه هذه المرة هذه المهمّة.



## الاحتفالُ المهيبُ

بعدَ أَنْ خُلِقَ آدَمُ، وَنَفَخَ اللهُ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَأَصْبَحَ كَائِنًا يَدُبُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَلَئِنَّ اللَّهَ أَرَادَ لِهَذَا الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا اجْتِمَاعِيًّا، جَعَلَ لَهُ زَوْجَةً سَمَّاها حَواءَ، ثُمَّائِلُهُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ وَتُخْتَلَفُ عَنْهُ فِي الْجِنْسِ، لَتُسْتَمَرَ الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ بَهُمَا، وَلِيَتَبَادَلَا شُعُورَ الْمُوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْأُنْسِ وَتَكُونَ لهُمَا الدُّرِّيَّةُ. وَلَكِي يَجْعَلُهُ مَوْهَلًا وَجَدِيرًا بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ، عَلَّمَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَأُمُورًا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَآدَمُ. ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبَيِّنَ لِلْمَلَائِكَةِ مَوْهَلَاتِ آدَمَ لِهَذَا الدَّورِ الْعَظِيمِ وَمَزَايَاهُ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَكَانَتْ إِجَابَتُهُمْ: سُبْحَانَكَ! لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ. وَهَنَا أَمَرَ اللَّهُ آدَمَ بِأَنْ يُخْبِرَهُمْ عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ فَأَخْبَرَهُمْ. تَعَجَّبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَدَى آدَمَ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ أَمَامَ خَلْقٍ جَدِيدٍ جَدِيرٍ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ، خَلْقٌ يُجِيدُ لُغَةً لَا يَعْرِفُونَهَا، خَلْقٌ وَاسِعُ الْمَعْرِفَةِ،

ويمكن له أن يتعامل مع ما على الأرض لغرض إصلاحها وبناء حضارة عظيمة وفق منهج الله.

وبدأت مراسيم الاحتفال، واجتمعت الملائكة والجان للاحتفال بآدم وزوجته والتعريف بهما. وأمر الله الملائكة والجان أن يسجدوا لخليفته في الأرض، كنوع من التكريم. كان منظرًا مهيبًا، وتكريماً رائعاً، لم يفسده إلا امتناع إبليس عن السجود!

فقد تفاجأ إبليس بهذا الاختيار وذهل من هذا التكريم، كيف يمكن أن يفضل الله عليه خلقاً مخلوقاً من تراب وطين وهو المخلوق من النار، وتجاهل كل المؤهلات الممنوحة له من الله، والتي تجعله جديراً بأن يسند الله إليه هذا الدور. فامتلاً إبليس غيظاً من آدم، وملاً قلبه الحسد، وقرر أن يتخذ من آدم عدواً له ويفسد له مهمته. وأول خطوة قام بها إبليس رفضه السجود مع الملائكة لآدم!

تحولت الأنظار كافة إلى هذا المخلوق الجني، كيف يجزؤ أن يمتنع عن الاستجابة لأمر من الله. وفي ذروة ذهول وتعجب الخلاق، نادى الله إبليس: لم لا تسجد يا إبليس لمن أمرت أن يسجد له الكل؟ هنا لم يتحمل إبليس الموقف المهيب أمام الله، ودفعه الحسد والغيظ أن ييوح بسر امتناعه عن السجود: كيف يا

رَبِّ اسْجُدْ لِآدَمَ وَقَدْ خَلَقْتَهُ مِنْ تَرَابٍ وَطِينٍ وَأَنَا الْمَخْلُوقُ مِنْ  
نَارٍ، أَلَسْتُ خَيْرًا مِنْهُ؟! فَكَانَتِ الْقِشَّةُ الَّتِي قَصَمْتُ ظَهَرَ الْبَعِيرِ! لَمْ  
تَكُنْ مَعْصِيَةُ إِبْلِيسَ مَعْصِيَةً عَادِيَةً، إِنَّهُ قَدْ تَكَبَّرَ، وَاللَّهُ قَدْ يَغْفِرُ أَيَّ  
ذَنْبٍ إِلَّا الْغُرُورَ وَالتَّكْبَرَ. قَالَ اللَّهُ لَهُ: لَقَدْ جَلَبْتَ يَا إِبْلِيسَ عَلَى  
نَفْسِكَ بَعْصِيَانِكَ أَمْرِي لَعْنَتِي وَغَضَبِي، سَأُخْرِجُكَ مِنْ رَحْمَتِي وَمِنْ  
جَنَّتِي!.

شَعَرَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ قَدْ انْتَهَى أَمْرُهُ بِهَذَا الْمَوْقِفِ، وَأَنَّهُ الْخَاسِرُ  
الْأَكْبَرُ، لِذَا طَلَبَ مِنَ اللَّهِ التَّرِيثَ وَعَدَمَ إِهْلَاكِهِ، بَلْ أَنْ يَمُدَّ لَهُ مِنَ  
الْعُمُرِ وَيَكُونَ مُصَاحِبًا لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَاعْدَاءً لِلَّهِ بِأَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنْ هَذَا  
الْإِنْسَانِ وَأَنْ يَثْبِتَ لَهُ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ وَذُرِّيَّتَهُ لَيْسُوا جَدِيرِينَ بِهَذِهِ  
الْمَهْمَةِ، وَأَنَّهُمْ، كَمَا امْتَنَعَ هُوَ عَنْ تَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ، سَيَجْعَلُهُمْ  
يَمْتَنِعُونَ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَسَيَعَصُونَهُ أَشَدَّ الْمَعْصِيَةِ.

هَذَا صَدَرَ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ الرَّهِيْبُ: حَسَنًا يَا إِبْلِيسُ! سَنَمْهَلُكَ وَلَنْ  
نُهْلِكَكَ، أَذْهَبَ وَقَمَ بِمَا تَشَاءُ مِنْ أَسَالِيبِ الْغَوَايَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَالْوَعْدِ  
الْكَاذِبَةِ، فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ، فَسَوْفَ أَمْلَأُ بِكَ وَبِهِمْ جَهَنَّمَ، وَلَكِنْ  
لَنْ تَسْتَطِيعَ إِجْبَارَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ خَلَقْتَهُ حُرًّا،  
لَيْسَ لِأَيِّ أَحَدٍ أَنْ يُجْبِرَهُ أَوْ يَرْغَمَهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَإِنْ فَعَلَهَا مَكْرَهًا  
لَمْ أَحَاسِبْهُ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ قَمَ بِعَرَضٍ وَسَاوَسَكَ عَلَيْهِمْ، بِمَجْرَدِ عَرَضٍ  
وِغْوَايَةٍ، وَأَنَا سَأَحْذَرُهُمْ مِنْكَ وَمِنْ أَسَالِيبِ غَوَايَتِكَ، وَسَأَكُونُ سِنْدًا

وعوناً لمن يلجأ إليّ أو يطلب عوني ويستعيز بي، وسوف أُؤجّل حسابهم إلى اليوم الموعود.

أَسَكَنَ اللهُ آدَمَ وزوجته الجنة، نعيم لا يوصف وحياة ناعمة، وأشجار وأنهار وقمم سامقة، قال اللهُ له ولزوجته: هذه هي الجنة فاسْكُنُوهَا، لن تعانوا من جوع أو ظمأ، وحرّ أو برد، وكل شيء فيها مباحٌ لكم. ولكن...

حذارٍ من تلك الشجرة، لا تقربوها، هي محرمة عليكم، أمامكم كل هذا المُلْكُ الواسع، خذوا وتناولوا منه ما شئتم، إلا هذه المساحة الصغيرة المحرمة، وأُحذروا عدوكم إبليس، هو عدوكم الأزلي الذي لا يترككم وذريّتكم حتى يوقعكم في المعصية كما وقع هو، لا تسمعوا لوساوسه ولوعوده الخادعة وخططه الماكرة، سيحرك مشاعركم وغرائزكم لكي تطيعوه، ثم يخذلكم لتجدوا وعوده كسراب لا حقيقة وراءه. إن مجرد طاعتكم له فيما نهيتكم عنه، سيعرضكم إلى عقوبة قاسية قد تصل إلى حد إخراجكم من هذه الجنة.

فرح آدمُ وزوجته بالمهمة وبهذا التكريم، ووعدوا الله بأن يلزموا طاعته ويتبعوا أوامره، أما بخصوص هذه الشجرة، فليس من المعقول أن يضحوا بهذه الجنة المترامية الأطراف من أجل شجرة،

فهي شجرة عادية ككل أنواع الشجر الأخرى، ولا مجال لمعصية  
الله الوهاب من أجل شجرة كهذه.



## العدو المتربّص

لتحقيق هدفه المنشود وغواية عدوه اللدود، لم يشأ الشيطان إبليس أن يجاهرَ آدم بالعداوة، فتسلل كصديق ليشعرهُ أنه ناصح مؤتمن. وكان يُظهرُ له الودَّ ويحثُّه على الاستمتاع بالجنة والاستغلال تحت أشجارها والجلوس على ضفاف أنهارها. فكر الشيطان كثيراً في كيفية غواية آدم وزوجته، لم يجد أمامه إلا أن يقنعه بتناول ثمار الشجرة المحرمة، فكيف يتسنى له ذلك وآدم من هذه النقطة على حذر شديد؟ نظر الشيطان إلى الشجرة ودار حولها، علَّه يجدُ فيها ما يُقنع بها آدم بالأكل منها، لكنه لم يجدُ ما يلبي حاجته، فالشجرة هي شجرة عادية ككل الشجر، وثمارها كذلك، فكان لا بد من أن يضيفَ عليها صفة تجعل آدم يقتنع بالأكل منها. قال الشيطان في نفسه: لا بد أن تكون إحدى الوسائل المهمة في غواية آدم وذريته هي أن أتحرّك ضمن نقاط

ضعفه، ومنها يمكن أن أنطلق في توجيهه لتحقيق أحلامه التي لا تنتهي. وفكر في نقطة ضعف آدم وزوجته، تُرى أي نقطة ضعف يمكن لآدم أن يمتلكها، ولديه ما يشاء في هذه الجنة الواسعة؟ لقد وفّر الله له كل شيء.

ولكن مهلاً...!

لقد وجدتها!

إنه الخلود! هذه هي نقطة ضعف آدم، أو على الأقل يمكن أن أتحرّك باتجاهها، لأقنعه بالفناء الحتمي، ثم أمنيّه بالخلود، ثم أوهمه بأنّ هذه الشجرة هي مفتاحه لنيل الخلود!

انطلق الشيطان إلى آدم لكي يحاوره...

الشيطان: أتعرف يا آدم... حياة الجنة لا يمكن أن ينغصّها شيءٌ

إلا الفناء...

آدم: وما الفناء؟

الشيطان: إنه الموت، ألم تسمع به؟

آدم: أظنني سمعت به، ولكنه لن يحدث هنا، ألسنا في جنة

الخلد؟

الشيطان: بلى! فالموت هو مصير كل الكائنات، ولن يبقى إلا

وجهه الله!

آدم: لا أدري، ليس لدي علم بما يفعل بنا، لكني هنا أستمع في جنة الخلد، فما لي والفناء، وما لي والموت؟ وأنا ملتزم بما أمرني الله به.

الشیطان: ولكن يجب أن يحسب المرء حساباً لمستقبله، أنا لاختلاطي بالكائنات الأخرى وأقدم منك في الخلق، قد سمعت أشياء كثيرة، وأنا لسنا مخلدين..

ترك الشيطان آدم ليخلو إلى نفسه ويفكر بما بثّه في روعه من الموت والفناء. كلام إبليس سبّب له حيرة، لم لم يفكر في ضمان مستقبله؟ ترى هل هناك مدة محددة لبقائه هنا؟ وما مصيره بعد ذلك؟ وهل سيفنى ليترك هذه الجنة؟ وظلّ آدم تتلقفه هذه الأسئلة والوساوس وهاجس الموت والفناء، وكان يتمنى وجود الشيطان ليستفسر منه ويطلب إيضاحاً أكثر عن الموت، وكان الشيطان منه قريباً لكنه لا يراه، كان الشيطان سعيداً أن وساوسه ستثمر قريباً.

عاد الشيطان مرة أخرى لآدم ليسأله عن أخباره، فوجد آدم قد أصابه الدهول وكأنه كان في انتظاره، قال: ألا تحدثني أكثر عن هذا الموت، متى هو؟ وكيف هو؟ وهل من حياة بعده؟ فأبدى الشيطان تعجباً من فضوله وأنه لا يزال يفكر في هذا الأمر، قال له:

يا آدَمُ لا تشغل نفسك بهذا الأمر طالما أن الله لم يَخِرِّكَ بساعة موتك.

لم تَزِدْ هذه الكلمات آدَمَ إلا فزعاً وتفكيراً في الموت، وهنا انتهزَ الشيطانُ الفرصةَ لينقضَّ على آدَمَ، فوعدهُ بأنه سيبحثُ ويستفسرُ عن وسيلةٍ تنجيه من هذا الموت لكي يبقى مخلداً. عادَ الشيطان مجدداً وبشَّرَ آدَمَ بأنه توصلَ إلى الطريقِ إلى الخلود... الشيطان: لقد سألتُ كثيراً فلم أجدُ وسيلةً للظفر بالخلود إلا الأكل من تلك الشجرة.. يسمونها شجرة الخلد، لأنها تجعل مَنْ يأكل ثمارها خالداً لا يموت...

ردَّ آدَمُ فزعاً: هذه الشجرة؟ كلا! لا تقل ذلك، هذه الشجرة محرمةٌ علينا، لا يمكن أن نأكلَ منها أبداً...

الشيطان: أنا لَمْ أَقُلْ لكَ تعال كُلْ كُلَّ ثمارها، إِنَّ ما عليك لتظفر بالخلود أن تقضمَ قضمَةً صغيرةً من ثمرةٍ واحدة، أقسمُ لك بالله أني أنا شخصياً قد أكلتُ منها مراراً، وها أنا أخذتُ عهداً من الله بأنني سأبقى إلى ما شاء الله أن أبقى، ثم إِنَّ الله لن يحاسبك على قضمة، وإذا عاتبَكَ الله فقلْ كنتُ مضطراً، أو نسيْتُ أو أي عذر آخر والله غفور رحيم، وأنا أعلمُ منك بواسع رحمته...

وحين رأى الشيطانُ من آدمَ ترددًا، دعاه للتقرب من الشجرة، ثم دارا حولها، وتناول الشيطانُ ثمرةً من ثمارها وقال لآدم: أرايت؟ ها أنا قطفْتُ ثمرة ولم يحصلْ شيء، خذْ يا آدم ولا تتردد، هذه الثمرة هي نافذتُكَ إلى الخلود، قضمه واحدة وتصبح مخلدًا، والله غفور رحيم، أنا أعلم منك بالله، صدقني! سيمر الأمر بسلام، ولكنها فرصتك إلى الخلود... هيا.. هيا.. لا تتردد!

اقتربَ آدمُ من ثمرة الشجرة المحرمة، ولمسها دون أن يأكلها، ترددَ في أكلها، لكن هاجس الموت والفناء والخلود ظل يشغل بالَه ويدفعه لتناولها، وتذكُرُ تحذيرِ الله له من الأكل منها يثنيه عن ذلك، ثم علمه برحمة الله وأنه لا يمكن أن يعاقبه، فهو خليفته في الأرض، ولا يتوقع منه عقاباً على أكل ثمرة، ثم إن هذه الثمرة قد تصبح بوابته إلى الخلود، بصراحة هو وزوجته قد تعوذا على النعيم ولا يريدان أن يغادرا المكان، والحل في هذه الثمرة، فليأكلاها وليحدث بعدها ما يحدث!

تناول آدمُ الثمرة! وناول زوجته منها لتشاركه... وما أن تذوقا الشجرةَ حتى انتابهما شعورٌ غريب، شعراً بتغيير في كيانهما، هالة النور التي كانت تغطي جسمهما فجأة اختفت، وظهرت لهما سوءاتهما، شعرا بنجل شديد، يا ويلاه ماذا فعلنا؟ لقد أكلنا من

الشجرة التي حرمها الله علينا، وسارعنا إلى أوراق الشجر الكبيرة ليسترا بها عورتهم، وانتابتهما حالة من الارتباك والحيرة والجزع والحزن، فما حلَّ بهما يدل على أنهما قد ارتكبا جرماً عظيماً، مع أنهما كانا يظنان أن الموضوع ليس فيه خطورة أو مجازفة.

بحثا عن الشيطان ليسألاه عن هذا الشعور الغريب والندم الذي يكاد يقتلهما، فإذا بالشيطان يناديهما من بعيد مستهزئاً: ماذا تريد يا آدم؟ يا خليفة الله في أرضه...أأنت الذي اختارك الله وكرّمك عليّ فجعلك خليفة وأنت المخلوق من تراب وطين؟ لقد سقطت في أول اختبار.. أرايت؟ أنا خير منك، لقد أسقطتُك في غوايتي ووفيتُ الله بوعدي بأن أغويك، كل هذه الجنان لم تشبعك، فتناولت ثمار الشجرة المحرمة عليك، انتظرت ما سيحل بك من عقاب!

زادت كلمات الشيطان وتهكمه بعصيانهما لربهما من الحزن المخيم على قلوبهما، ترى ماذا سيكون ردّ الله على ما اقترفاه من إثم؟ فكان الانتظار قاتلاً!

## أيام الندم

خَيَّمَتْ ظلالُ الحُزنِ على المشهدِ في الجنة، فجأةً انقلبتْ فرحةُ واستمتاعِ آدمَ وزوجتِهِ إلى كآبة، لم تُعَدْ تشدُّهُما الألوانُ الزاهيةُ للشجرِ والثمرِ، ولم يُعَدْ يجذبهما منظرُ الأزهارِ وأريجها الفواح، ولا عادَ خريفُ أمواجِ الأنهارِ يجذُّ له صدىً في أسماعهما، فاهتمومٌ التي أثقلتْ رأسيهما جعلتْهما لا يرفعانهما لرؤية منظرِ الجبالِ الشاهقةِ المخضرة، كانا يشعران بنظرة الحزنِ في كل ما يحيطهما، وكأنَّ لسانَ حالهما يُؤنبُهُما: لماذا عصيتم الله من أول تجربة وامتحان؟ أَلَمْ تستحضرا كل هذا التكرمِ من الله وتحذيره من عداوة الشيطان؟ دوامة من الأسئلة التي كانت تحوطهما وتنبعث من حولهما. وزاد من عذابهما، أن الله تركهما هكذا دون أن يوجِّهَ لهما لوماً وعتاباً أو حتى غضباً وانتقاماً، أَلَمْ يُخرجِ اللهُ الشيطانَ من الجنة لمجرد أنَّه

عصاهُ في عدم سجوده لآدم، فماذا سيكون الردُّ الإلهي على  
عصيانهما وطاعتهما للشيطان؟

وبعد فترة من الحزن والكآبة، وعتاب النفس وانتظار العقوبة،  
جاءهُمَا العتابُ الإلهي، والكونُ كُلُّهُ ينصتُ خاشعاً ليرى نتيجة  
المخالفة والعصيان:

يا آدَمُ ويا حواء!

ألم أحذركما من هذا العدو الشيطاني، الذي عاداني حسداً  
لكما؟ فأطعموه وعصيتُموني؟ لقد استسلمتُم لأولى وسأوسه  
فأغراكم بالخلود وجعل الشجرة المحرمة رمزاً لها. كان تنقصُكم  
ثقتكم بي وولاؤكم لي، لقد أخرجتُ إبليسَ من رحمتي لتكبرِه على  
أمري، أما أنتما، فعصيتُم بسببِ ضعفِكُم وجهلِكُم، لذا  
سأمنحكما فرصة أخرى للعودة لطاعتي، ولكنَّ عليكما الخروجُ من  
جنتي والهبوط إلى الأرض، وهناك، ستصبح الأرضُ ساحةً للصراع  
بين الخير والشر، بين طاعتكم وطاعة ذريتكم لي وبين غواية  
الشيطان، وبين الإفساد في الأرض أو عمارتها، ولكم القرارُ  
والاختيارُ إلى يوم الحساب، عندها سأحسمُ في أمركم، وسأقضي  
بينكم، فريق في الجنة وفريق في السعير.

رضي آدمُ وزوجتُهُ بهذا القرار الإلهي وتقبلاه، فهي فرصة متاحة  
لهما للعودة إلى طاعةِ الله والرجوع للجنة، غاية الغايات. شعر آدمُ  
وزوجتُهُ بحاجتهما إلى تقديم الاعتذار والتوبة عما بدرَ منهما،  
صارَتْ كلماتُ الندم تكاد تنطلق من لسانهما، فنادى آدمُ رَبَّهُ  
والدموعُ تنهمر من عينه وعين زوجته، ولو استطاعا لَبَكَيَا بدل  
الدموع دماً:

إلهنا ومولانا...

ما هذا الذي فعلناه بأنفسنا؟

نكاد لا نصدق ما جرى وما حدث؟

لقد أكرمنا وفضلتنا على كثيرٍ من عبادك، وأسكنتنا جنتك،  
نأكلُ من ثمارها، ونشتمُ أريجَ أزهارها، ونستمتع بضفاف أنهارها،  
فقابلنا كل هذا بالجحود والعصيان وعصيانك في شجرة زينها لنا  
الشیطان أنها شجرة الخلد، فإذا بها تكون سبب شقائنا وخروجنا  
من الجنة!

إلهنا ومولانا!

كان هذا أول عهدنا بغواية الشيطان، فاغفر لنا يا ربنا ما  
اقترفناه، ارحم ضعفنا، وتول أمرنا وتقبل ندمنا وتوبتنا، فليس لنا  
سواك رباً وناصرًا وخالقًا، فإن لم تغفر لنا فأين نولي وجوهنا؟ ومن  
ذا الذي سيغفر لنا؟ فأنت الغفور الغفار والرحمن الرحيم، فلا تجعل  
الشيطان يشمت بنا، وتقبلنا ورحمنا واصفح عنا...

وسجد آدم وزوجته لله طالبين ومُلتحين على قبول التوبة والندم،  
ودموعهما بللت المكان، والحزن والأسى طغى على نبرة  
الاعتذار، وفجأة شعرا بإنشراح في نفوسهما، وكأنها بشاره خير  
سيتلقونها من الرحمن الرحيم الذي ناداهما: قد قبلت توبتكما، لذا  
سأعطيكم الفرصة الكاملة لتعودا إلى طاعتي، فأهبطوا للأرض  
وانتشروا فيها، وقوموا بتعمير الأرض وإصلاحها، وابنوا حضارة  
مبنية على أسس الإيمان التي سأرسل لكم منهاجها، وعلى أساس  
العلم الذي سأهديكم إلى سبيله وأيسر لكم طرقه، فلا تتبعوا  
الأهواء ولا تعبدوا غيري. لقد عانيتُ من تجربة العصيان ومرارة،  
واستطاع الشيطان أن يضللكم ويزين لكم مخالفة نهجي، وسيكرُر  
المحاولة وسيحاول بشتى الوسائل والسبل أن يدفعكم إلى الإفساد  
في الأرض. واجبكم ودوركم في الأرض الالتزام بمنهجي ما

استطعتم لكي تحيوا حياةً إنسانيةً تليقُ بكم، منهجٌ سيحققُ لكم العدالةَ والخيرَ ومحاربةَ الفسادِ ومناصرةَ المظلومِ والضربَ على يدِ الظالمِ، وزادكم في ذلك التقوى والعبادات والتقربُ إِلَيَّ بالشعائر، فهي درعُكم الواقِي ضد مكائِدِ شياطينِ الإنسِ والجن. سأبقى قريباً جداً من كل واحد منكم، سأُنزلُ إليكم كل ليلة، لأسمعَ ابتِهالاتِكُم وشكواكم ودعواتِكُم واستغفاركم، وستدعمُكم ملائكتي بالدعاء والاستغفار لكم، لا بل ستنصرونكم في قتالكم ضد جيوش الفساد من شياطينِ الإنس والجن.

سأمهلكم مهلةً كافيةً للعودة حين تعصون، حتى يأتي اليوم الموعود للحساب والجزاء، عندها ستكونون على مفترق الطرق، إما جنةً وخلوداً أو جحيمٌ وخلود. وأحذركم مرةً أخرى من شياطينِ الإنس والجن، هم لن يهنؤوا بعيشٍ حتى يردوكم إلى الضلال الذي هم فيه.

شعر آدمُ وزوجتهُ بارتياحٍ نفسيٍّ بعدَ تَقَبُّلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُمَا، على الرغمِ مما ينتظرُهُما من جهدٍ وكبدٍ وعناءٍ في إصلاحِ الأرض وحرمانهما من لذائذِ الجنة التي كانوا فيها. ترى كيف ستكون

حياتُهما على الأرض، وهل سينجَحان في الإيفاءِ بعهودهما لربهما  
ويتجنبنا معصيتُهُ من جديد؟



## خطواتٌ على طريقِ الخلافة

نَزَلَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ إِلَى الْأَرْضِ، كَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَبْحَثَا عَنْ مَصَادِرِ الْحَيَاةِ وَالْعَيْشِ، وَلَأَنَّهُمَا كَانَا يَجْهَلَانِ مَا يَوْجَدُ عَلَى الْأَرْضِ، فَقَدْ كَانَتْ رَحَلَتُهُمَا مَتْعَبَةً، لَذَا اضْطَرَّ لِأَكْلِ مَا يَجِدَانِهِ مِنْ أَوْرَاقٍ وَحَشَائِشٍ. وَهُمَا يَخْتَرِقَانِ الْأَحْرَاشَ وَيَتَسَلِقَانِ الْجِبَالَ وَيَهْبِطَانِ إِلَى الْوُدْيَانِ، كَانَ آدَمُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى زَوْجَتِهِ يَشْعُرُ بِالْأَسَى، فَهُوَ يَشْعُرُ أَنَّهُ السَّبَبُ فِيمَا آلٌ إِلَيْهِ حَالُهُمَا وَحَالِ زَوْجَتِهِ بِالذَّاتِ، كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهِيَ مَتْعَبَةٌ وَمَنْهَكَةٌ لَا تَعْلَمُ مَا سَيَحِلُّ بِهَا، فَيَشْعُرُ بِالْأَسَى لِحَالِهَا، وَلَا سِيَّما وَقَدْ كَانَا مَتَنَعِمَيْنِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْقُصُهُمَا شَيْءٌ. وَبِالْمُقَابِلِ فَإِنَّ زَوْجَةَ آدَمَ كَانَتْ كَذَلِكَ تَشْعُرُ بِالْحُزْنِ وَتَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ، فَقَدْ كَانَتْ تَظُنُّ أَنَّهَا كَانَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يَصْغِيَ لِلشَّيْطَانِ وَيَعْصِيَ أَمْرَ رَبِّهِ، كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَذْكُرَهُ وَتَنْبَهَهُ، وَلَكِنْ كِلَاهُمَا لَمْ يَكُونَا عَلَى يَقِينٍ بِأَنْ أَمَرَ النَّهْيَ مَلْزَمٌ، وَأَنْ وَرَاءَ مُخَالَفَتِهِ

تكنم العواقبُ الوخيمة، والتي يتجرعان الآن مرارتها، كما إنهما لم يكونا على دراية بأساليبِ غوايةِ الشيطان، وأنه استَعَلَّ نقطةَ ضعفِهما. ظلت هذه الأفكارُ تراوُدُهما لفترة، فصدمةُ الهبوط للأرض لم يكنْ بالسهولةِ نسيانها، وكان منظرُ الشجرةِ المحرمةِ التي أقنعَهما الشيطانُ بأنها شجرةُ الخلد، لا يزالُ ماثلاً أمامهما، لقد تبيَّنَ لهما أنها على العكس تماماً من ذلك، كانت لهما بمثابة شجرةِ البؤس والشقاء.

أفاد العلمُ الذي تلقاه آدمُ من ربِّه في الجنة في سرعة العثور على مصادرِ الحياةِ من ماء وحيوانات، وبناء منزل لهما وسط الأحرش وقريباً من النهر، لذا استنطعا التكيفَ مع الحياة الجديدة الصعبة بوقت قصير، واختار آدمُ مكاناً مناسباً لبيتِه وبناء بمساعدة زوجته من خشب الأشجار وتراب الأرض، التراب الذي خُلق منه وجعلَ اللهُ منه إنساناً تسجدُ له ملائكةُ الجنان.

وحلَّ المساء، فجمعَ آدمُ بعضَ الحطبِ ليقودَ ناراً، وجلس مع زوجته ليتبادلا أطرافَ الحديث وتجربتهما التي مرَّتْ كأنها حلم.. مازالت مرارَةُ المعصيةِ تنغص عليهما حياتهما، ولكن أمامهما الكثير ليعملاه هنا على الأرض، وعسى أن يشغلهما هذا عملاً جرى لهما في الجنة. كان منظرُ الجنة ولا يزال لا يفارقُ خيالهما،

وهما يقارنانه بالحياة على الأرض، كان كل شيء متوفراً هناك،  
والأهم من كل ذلك رضوان الله، ولكنهما قررا أن لا يستسلما  
للماضي المرير، وأن يتجاوزا تجربتهما القاسية، فقد قدر الله لهما  
وما شاء فعل، ويمكنهما أن يجعلا من الأرض جنة، وبطاعتهما  
لرهما يمكن أن يعودا لرضا الله، وكان أملهما برحمة الله ومغفرته  
كبيراً.

شعر آدم أن النوم يغلب زوجته، فتركها ترقد، أما هو فقد جفا  
جفنه الكرى، فذهب للخارج لكي يخلو مع ربه ويتعبده ويناجيه.  
جلس آدم على صخرة وألقى بنظره إلى السماء وهي تعج بما لا  
يُحصى من النجوم، والقمر يطل بجماله ليضيء سطح الأرض  
بنوره. انتابه شعور بالحسد تجاه الكون، ليت له لم يقبل هذا الدور  
أسوة بالكون، على الرغم من عظمة هذا الدور. وكذلك أحسن آدم  
بالشوق إلى لقيا الله، فتوجّه بكيانه كله لله وخاطبه متذللاً:

إلهي ومولاي..!

ها نحن على الأرض، حيث قُدر لنا، نحمدك سبحانه على  
لطفك ورحمتك ومغفرتك، ارحم ضعفنا، وتولّ أمرنا، وأعنا على أن  
نقوم بالدور الذي كلفتنا به، لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، يسّر لنا

أمورنا، نَعِدُكَ أَنْ نَبْقِيَ عَلَى الْعَهْدِ، وَأَنْ نَعْمَرَ الْأَرْضَ وَفَقَّ مِنْهَجَكَ  
لا نَحِيدُ عَنْهُ، بَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ، فَمَا لَنَا مِنْ  
مَوْلَى وَمَعِينٍ وَرَبٍّ سِوَاكَ...

وَانْتَابَتْ آدَمَ حَالَةً مِنَ الرِّضَا، وَشَعَرَ أَنَّ رَبَّهُ سَيَمُدُّهُ بِعَوْنِهِ وَأَنَّهُ  
لَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ، فَخَرَّ سَاجِداً لِلَّهِ وَبَلَّلَ الْأَرْضَ بِدُمُوعِهِ، دُمُوعِ الْحَزَنِ  
عَلَى مَا فَاتَ، وَالشُّوقَ لِلَّهِ وَدُمُوعَ الْفَرَحِ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ. وَمَا زَادَ فِي  
غَبْطَةِ آدَمَ أَنَّ اللَّهَ خَاطَبَهُ وَأَكَّدَ لَهُ تَقَبُّلَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَالِدَلِيلِ أَنَّهُ  
أَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُ عَمَلُهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ وَمَا أَحَلَّ لَهُ،  
لَيْسْتَ أَنْفَ آدَمَ وَزَوْجَتُهُ الْحَيَاةَ فِي الْأَرْضِ وَفِي ضَوْءِ مَنْهَجِ اللَّهِ مِنْ  
جَدِيدٍ...

عَادَ آدَمُ لِمَنْزِلِهِ فَرِحاً مُغْتَبِطاً لِيَنَامَ بِسَلَامٍ نَفْسٍ وَرَاحَةٍ بِالْ،  
وَزَوَالَ هَمٍّ كَادَ أَنْ يَسْحَقَهُ لَوْلَا لَطْفُ اللَّهِ بِهِ وَبِزَوْجَتِهِ. وَاسْتَيْقَظَ آدَمُ  
عَلَى صَوْتِ زَوْجَتِهِ وَهِيَ تَنَادِيهِ مُغْتَبِطَةً، كَأَنَّهَا كَانَتْ مَعَهُ لَيْلَةً أَمْسَ  
حِينَ خَلَا بِنَفْسِهِ مَعَ رَبِّهِ، فَسَأَلَهَا مُتَعَجِّباً:

أَرَاكِ يَا زَوْجِي الْعَزِيزَةَ مُغْتَبِطَةً، أَلَا تُشْرِكُنِي مَعَكَ فِي سَعَادَتِكَ؟  
رَدَّتْ زَوْجَتُهُ بِابْتِسَامَةٍ:

لقد رأيتُ رؤيا أسعدتني، رأيتُ كأننا مرةً ثانيةً في جنةٍ كالتي كنا فيها، وحولنا طيور بيضاء وخضراء تحوم حولينا في سعادة، ثم رأيتها تغطسُ في النهر وتخرجُ ومعها طيورٌ أخرى أجمل منها، وهكذا حتى امتلأ المكانُ بالطيور وأصواتها تزيد المكان بهجةً وجوراً.

أنشِرحَ صدرُ آدمَ برؤيا زوجته، وبشرها بما حدثَ معه أمس، وطلب منها أن تكون له عوناً في إعمار الأرض، وحين رأى منها وجوماً، أدرك حيرتها فقال لها:

يا زوجتي العزيزة!

أنا أشعرُ بما يترددُ في ذهنك، تَرَيْنَ أننا اثنان ولا طاقةَ لنا وحدنا بإعمار الأرض، ولكن اصْبِرِي، فاللهُ سيهدينا سواءَ السبيل ويُيسِّرُ لنا سُبُلَ الإعمار فلا تقلقي، وأعلمي أنَّ اللهَ لن يكلفنا حالياً إلا ضمن طاقتنا وقدرتنا. فالنقطة الأهم هي أننا عقدنا النية على طاعته والعمل على تحقيق منهجه في الإعمار والإصلاح وإقامة الخلافة، أما النتائج فنوكِّلُها على الله. لقد بيَّنَ اللهُ لي ليلةَ أمس أننا سنواجه ألواناً كثيرةً من التحديات، وستقابلنا مواسمٌ كثيرةٌ من الممرات، وغايتنا في الأرض ليست أن نركنَ للممرات ولا أن نستسلمَ للمصاعب وننهار، بل غايُتنا أن نبقى في ظل طاعة الله،

سواء أَكُنَّا في جنة كتلك الجنة التي كُنَّا فيها قبل أن نخبطَ إلى الأرض، أم كنا مسجونين في كهف، وسواء أَكُنَّا ملوكاً ولنا عروش، أم كُنَّا عبيداً مقهورين، وحتى لو كُنَّا أصحاباً أو مرضى، فدورنا في الحياة هو هو لن يتغير، أن نبقي في ظل طاعته نحيًا وفق منهجه، ومدة الحياة محددة سيعقبها انتقال إلى دار الجزاء، عندها سنحيا ملوكاً بحق، ونتمتع في جنات الخلود في ظل رضا الله نحن ومن نُحِبُّ.

أَحَسَّتْ حواءُ بانفراج نفسي لسماع كلمات زوجها، ومسحت تلك الكلمات ما أَلَمَّ بها من ضيقٍ نفسي لما مرَّ بهما من تجربة قاسية وتحول في نوع المعيشة، ولكنها أدركت الآن سرَّ هذه الأحداث وسرَّ السعادة والرضا النفسي، والدور المطلوب منهما على وجه التحديد.

## الدُّرِّيَّة

مضتْ عدَّةُ أشهر، استطاعَ آدَمُ وزوجُّهُ خلالها أن يُحدِثا تغييراً كبيراً في ما حوَالِيهما من سفوح الجبال والسهل الممتد أمامهما، فقد أقاما سداً صغيراً لجمع مياه الشلال المنساب من الجبل، واستصلحا مساحةً من الأرض للزراعة، وشيَّدا حُضيرةً لتربية الحيوانات، وهي أزواج من الأنعام التي أنزلها الله لهم، وبذلك في ذلك جهداً بليغاً لعدم وجود ذريةٍ تساعدهم.

وبينما كان آدَمُ مشغولاً في عمله، نادتهُ زوجتهُ على عَجَلٍ، وأخبرتهُ أنَّ هناك شيئاً ما يتحرك في بطنِها. شاركَ آدَمُ زوجتهُ استغرابها، ترى ما هذا الشيء الذي يتحرك في أحشائها؟ تذكر آدَمُ ما شاهده من قبلٍ مِنْ عمليةٍ ولادةٍ لإحدى الأغنام التي

يربيها، فقال لها: لا تقلقي يا زوجتي، يبدو أنّ في أحشائك وليداً جديداً، قالت: وما الوليد؟ قال: لا أعلم، هو طفلٌ، قد يكون ذكراً أو أنثى، سننتظر ونرى، ولكنّ زوجة آدم لم تُخفِ عن زوجها قلَقها من هذا الحدث المرتقب.

وشهرٌ بعد شهرٍ، وبطنُ حواءٍ يكبرُ، حتى اذا أتمّت تسعة أشهر، أثقلت وأصبحت لا تقدرُ على العمل، فطلبَ منها آدمُ السكونَ إلى الراحة، لكنّ حواءَ شعرتُ بآلام المخاض وأخبرتُ زوجها أنّها على وشكِ الولادة. قام آدمُ وزوجته خلالَ الشهور الماضية بمراقبة عمليات الولادة للحيوانات التي كانت لديهما ليصبحا على دراية بعملية الولادة المتوقعة. كانت حواءُ في شغف كبيرٍ لرؤية المولود الجديد، ترى ما جنسه؟ وما شكله ولونه؟ وما حجمه؟ وماذا سيأكل وبأية لغة سيتكلم؟.

وفي مساء ليلةٍ قمرية، جاءها المخاضُ لِتِلدَ ما فاجأ آدمَ وأصابه بالذهول، لقد ولدتُ زوجةً توأمًا، ذكراً وأنثى، وكانت عمليةُ ولادةِ الطفلين صعبةً لحواء، لكنّ آدمَ كان بجانبها يساعدها ويؤازرها. وبعد أن تمتّ عمليةُ الولادة، بشرها آدمُ أنّهما طفلان وليس طفلاً واحداً. شعرتُ حواءُ بالوجلِ من صراخ الطفلين وبكائيهما، لكنّ آدمَ طمأنها أنّ هذا أمر طبيعي، ثم احتضنَ آدمُ

طفليّهِ ووضعهما جنب والدتهما. وزاد عجب الوالدين حين رأوا  
الطفلين بغريزة منهما يتجهان بفمهما نحو صدر أمهما،  
فأرضعتُهما وهي مستغرِبةٌ من منظرهما، ومن عجيب خلق الله الذي  
يرزق الطفل في رحم أمه ثم يُعَدُّ له رزقاً فورَ خروجه. كان على آدمَ  
أنْ يقوم بإعدادِ الطعامِ لزوجتِهِ حتى تستعيدَ عافيتها، ولكنه كان  
سعيداً بصوت الصغيرين يدوي في البيت ويملاً عليهما المكان  
ويمدّانهما بأملٍ جديد وسلوى كانا بحاجةٍ إليها.

أصبحَ لحواءَ منذ ذلك اليوم جهدٌ إضافي، تربية الطفلين و  
مساعدة زوجها، كانا سعيدين بأنَّ أول ولديهما ذكرٌ وأنثى، لكي  
تتسنى للذكر مساعدة أبيه في العمل، والأنثى تساعدُ أمَّها في أمور  
المنزل. لم تكتمل السنة حتى وضعتُ حواءُ توأمين جديدين،  
وهذه المرة كذلك ذكر وأنثى.

حرصَ آدمُ على تعليم أولاده كلَّ ما علَّمَهُ رُبُّهُ وكلَّ ما اكتسبَهُ  
من خبرةٍ في حياته العملية، كان أهمُّ درسٍ علَّمَهُ لأولاده أنْ يحذروا  
غوايةَ الشيطان، وكان يقصُّ عليهم ما تعرَّضَ له هو ووالدُهم من  
تجربة قاسية جعلتُهم يهبطون من أعلى الجنان إلى الأرض  
ويواجهون هذه الحياة الصعبة.

وكان الشيطانُ بالمقابل، يُعدُّ خططُهُ الشريرة لينقضَّ على آدمَ  
وأولاده ليغويهم من جديد. ولم يكن الشيطان بعيداً عن آدم  
وذريته، بل كان متربصاً بهم ويراقب ما يقومون به، وكان على قدمٍ  
وساقٍ في بناء مملكته الشيطانية لتكونَ معقله في إدارة المعركة بينه  
وبين آدمَ وذريته وجرحهم نحو الهاوية مرة أخرى.



## مملكة الشيطان

كان إبليسُ على خُطى آدم، يقومُ بإنشاء مملكته، فهو أيضاً قد كتب الله عليه أن يرافق آدم رحلته حتى الأجل الموعود. كان إبليسُ أكثر من آدم تسرعاً في إنجاب الذرية، فهو كان بحاجة إلى عدد لا حصر له منهم، ليُقرن كلَّ ذرية من بني آدم بشيطانٍ يُرافقهُ ولا يفارقه حتى الممات، فيغويه ويضلله عن دين الله، لذا استطاع في فترة وجيزة أن يكون له أعدادٌ كبيرةٌ من الذرية والأتباع.

وقام إبليسُ بتهيئتهم للدور الذي رسمه لهم في الغواية والتضليل، لا وقتاً لِلْعِبِ أو الهزل، بل العمل الجاد من أجل الظفر بولاء ذرية آدم، وعَلَّمَهُم كافة السبل التي يستطيعون من خلالها الغواية وجرحهم نحو الفساد. ووزَّع إبليسُ عليهم المهام، فمنهم قُرّناء، كلُّ شيطانٍ

جَنِّي سِيرافِقُ أَحَدَ أَبْنَاءِ آدَمَ وَيَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الدَّمِ، وَمِنْهُمْ  
جَوَاسِيسٌ، يَتَجَوَّلُونَ فِي السَّمَاءِ لِيَجْلِسُوا فِي طُرُقَاتِهَا وَيَسْتَرْقُوا السَّمْعَ  
وَيَجْلِبُوا الْأَخْبَارَ، وَلَا سِيَّما عَنْ أَيِّ هَدَايَةِ تَنْزَلُ عَلَى بَنِي آدَمَ،  
لِيَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِيَشُوهُوا الْحَقَائِقَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ، فَلَا  
تَحْقُقُ غَايَتِهَا مِنَ الْهَدَايَةِ.

قام إبليسُ ببناء عرشه على البحر، كان يريد أن يجعل من نفسه  
إلهًا، ليضاهي ربوبية الله الذي جعل عرشه على الماء. وحين أتمَّ  
بناؤه، جمع أتباعه وألقى فيهم خطبته، مبيناً تعليماته وخططه  
الشیطانية:  
يا شياطين الأرض وأبالستها!

تعلّمون أننا قد ابتُلينا بآدمَ وذريته! جعله الله سببَ غوايتنا، لم  
يكن باستطاعتي أن أتقبلَ تفضيلَ الله لهُ عَلَيَّ، كائن مخلوق من  
طين وماء يكون أفضلَ مني وأنا المخلوق من نار، يجعله خليفته  
ويطلب مني أن أسجدَ له، كان لا بد أن أرفض، فكان مآل رفضي  
طردي من الجنة ومن رحمة الله، لذا لا بد لنا يا ذريتي من الانتقام.  
لقد وعدتُ ربي أن أغويَ آدَمَ وذريته، يجب أن نَصِلَ الليلَ بالنهاية  
لتحقيقِ الهدفِ المنشود. إنَّ وسائلنا في الغواية كثيرة، الوسوسة  
والإغراء والتزيين، يجب أن نجعلهم يركعون لنا على ركبتيهم ليطلبوا

منا ومن عملائنا من شياطين الإنس ما تهفو إليه أنفسهم من الشهوات المحرمة. عليكم أن تتحركوا في دهمهم، وأن تبثوا سموكم الشيطانية في رغباتهم وأمنياتهم، و أغروهم بالوعد الكاذبة، وحين يتحطمون تحت صخرة المعاصي اتركوهم للشقاء النفسي واجعلوا الحسرة تأكل قلوبهم، فإذا انتفض أحد منهم وتذكر ربه، عودوا إليه وعاودوا الكرة. واعلموا أن من طبيعة هذا الإنسان النسيان، فلا تغرنكم عبادته ومواصلته للخير، فهو معرض في أي لحظة لينسى ويغفل، عندها انقضوا عليه ولا تأخذكم به شفقة ولا رحمة ولا تتركوه حتى يغرق في الضلال.

شياطيني الأعزاء!

أنا أعلم أن وسائلكم ليست محكمة، فإنكم لن تستطيعوا إجبارهم على الانحراف، فواجبكم هو الاقتراح فقط، وهم أحرار في القبول أو الاعتراض، ولكنكم بتواجدكم المستمر معهم وبنقاط ضعفهم، ولاسيما تجاه الشهوات، يمكن أن تغروهم باتباعكم، فإن وجدتم منهم إباءً ومقاومةً، ولاسيما المخلصون منهم، فسنسلط عليهم عملاءنا من شياطين الإنس ليساعدونا في محاربتهم وننهيهم عن طاعة ربهم.

أعزائي وأبنائي!

قد تسألوني عن أولويات أعمالكم، لذا أجيئكم: الأعمال  
الشیطانية الجماعية هي المفضلة عندي على الأعمال الفردية،  
حرّضوهم على تدمير أسرتهم بالخلافات على أتفه الأمور،  
وشجّعوهم على تخريب بلدانهم وإثارة النعرات والصراعات بين  
شعوبهم، وحركوا فيهم أسباب الخلاف وفرّقوهم شيعاً إلى جماعات  
متحاربة لينشغلوا بالحروب والصراعات والخلافات الجانبية،  
فينصرفوا عن إحقاق الحق ومقارعة الباطل.

أحبائي!

إنَّ أهمَّ نقطةٍ تحقّق لكم الأملَ المرجوّ هو البحثُ عن نقاط  
ضعفِ بني آدم، ومن هذه النقاط، ضعفهم أمام المغريات، من  
الشهوات والمال والمناصب والزعامة والخوف على المستقبل  
والسعي لضمان مستقبل أبنائهم وزوجاتهم. ولا تستحقروا أعمالكم  
الشیطانية مهما تناهت في الصغر، حتى لو كانت إشغالهم بأعمالٍ  
غير محرمةٍ، وذلك لقتل وقتهم، فقتل الوقت فنٌّ يجب أن تتقنوه  
وتمنحوه جُلَّ اهتمامكم. فكل هذه النقاط لو استخدمها هذا  
الإنسان بشكل صحيح انتفع بها، ولكننا سنحاول أن نجعلها  
يستخدمها بشكل خاطئ، وإنَّ من أعظم النقاط التي يجب أن  
تركزوا عليها هي اعتدادُهُ بنفسه وبرأيه، فهذه الصفة ستجعله ينفرد

برأيه، ولا يسمع لأحدٍ ويقا تل من أجل ترسيخها. غدوا فيه صفة  
 الأنا، اجعلوه لا يرى إلا نفسه ويستشعر دائماً بذاته، هذه الصفة  
 التي جعلتني أتكبرُ على أمر ربي ليطر دني من رحمته وجنته ودمرت  
 معي مستقبلكم يا أحبائي! هذه الأنا ستجعله يتكبر على من  
 حوله ولا يستمع لناصح، وسنغلق بها كل منافذ النصيحة من حوله  
 وأنوار الهداية التي يمكن أن تُنور حياته. وعلى العكس تماماً،  
 فالتواضع وتقبل الآخر سيجعله يتقبل الآراء الناصحة وستصبح  
 عائقاً لنا في غوايته، لذا حاولوا إبعاده عن التواضع، وغدوا فيه  
 الانفعال والغضب وردة الفعل السريعة، لكي يتخذ قراراتٍ سريعة  
 من المؤكد أنها لن تكون في صالحه وستتبعها أفعال مدمرة له ولمن  
 حوله.

واختتم إبليس خطبته الشيطانية وهو يخاطبهم في حزم:  
 أريد منكم تقارير يومية لنشاطاتكم كي أستطيع توجيهكم  
 وتقييم أدائكم، وأؤكد لكم أنكم لستم وحدكم في طريق الغواية،  
 فسينضم إلينا قريباً جيش من شياطين الإنس من عبّاد الشهوات  
 والكهنة والسحرة والمشعوذين والطغاة من أصحاب النفوذ في  
 الأرض، لنحطم مبادئ الخير ونقضي على دعاة الهدى والاستقامة،

عَلَّنا نَشْفِي غَلِيلَنَا مِنْ هَذَا الْكَائِنِ الَّذِي كَانَ سَبَباً فِي ضِيَاعِ مَكَانَتِنَا  
عِنْدَ اللَّهِ وَأَدْخَلَنَا فِي لَعْنَةِ اللَّهِ الْأَبَدِيَّةِ.



## القتيلُ الأوّل

جاءتِ التقاريرُ الأولىُ لإبليس استَحالةَ التغلغلِ إلى آدمَ وذريته، وذلك بسبب المتابعة المستمرة لآدمَ وحواءَ لذريتهما وتحذيرهما لمكائد الشيطان، لكنَّ الشيطانَ الذي كُلفَ بمصاحبة قابيل، وهو أحدُ أبناءِ آدمَ، أكَّدَ لإبليس أنه يمكن إغواؤه وكسبه ليقوم بعملٍ شيطانيٍّ عظيم. شرح الشيطانُ لإبليس طبيعةَ نفسيةِ قابيل، فبسبب التنافس الشديد بينه وبين أخيه هايل، أصبح قابيل لا يطبق تقدّمَ هايل عليه في أغلب حالات التنافس، لذا اقترح العملَ على هذه النقطة وتوسيعها لتصبح الطبع الغالب له. فرح إبليس بهذا الاكتشاف المهم، وبارك لتلميذه الشيطان وشجّعهُ على السير في هذا المسار، وأكَّدَ إبليسُ لـشيطانه ضرورةَ إدراج آدمَ في هذه العملية، وإثارة الشحناء ضد قابيل من قِبَل أبيه لتتوسع دائرة

الانحراف، وكذلك لإشغال آدم بموضوعٍ جانبيٍّ يُلْهِمُهُ عن تربية أبنائه، والنتيجة مزيدٌ من الأخطاء.

انْتَهَى موسمُ الحصاد الذي كان يُشرفُ عليه قابيلُ، فقد تَخَصَّصَ في الزراعة، وكذلك كَثُرَتْ أعدادُ الماشية والأَنْعَامِ التي كان يربّيها هابيلُ الذي تَخَصَّصَ في تربية الحيوانات والرعي، كان إنتاجُ كليهما وفيراً، لذلك طلب آدم من وَلَدَيْهِ أَنْ يَقْرَبَا اللَّهَ قَرِيبَاناً، شُكْراً له على ما أَعْدَقَ به عليهما من النِّعم. فَاخْتَارَ هابيلُ كَبِشاً سَمِيناً تقرباً لله، ولكنَّ قابيلَ قَدَّمَ حُزْماً مما تبقى من زَرْعِهِ واحتفظ بالزرع الجيّد. كانت سنةُ الله في قبول القربين أَنْ يرسلَ ناراً، فَإِنْ تَقَبَّلَ اللهُ القربانَ أَكَلَتْهُ النارُ، وَإِنْ لَمْ يُتَقَبَّلْ ظَلَّ كما هو. كان قابيلُ معْتَدّاً بنفسه، وكان على يقينٍ أَنَّ النارَ ستأكلُ زَرْعَهُ قبلَ قربانِ هابيلَ، كما إِنَّهُ كان على ثقةٍ بَأَنَّهُ أَفْضَلُ من هابيلَ وأقربَ إلى الله، وأنَّ قربانَهُ هو الذي سَيُتَقَبَّلُ. ومما زاد في يقين قابيلَ بالفوز، قيام الشيطان بالتحرك داخل كيان قابيل ضمن دائرة الاعتداد بالنفس ليوهمه بأنه الأفضل.

اجْتَمَعَ بنو آدمَ بحضور آدمَ وزوجته، ووضع كلٌّ من قابيلَ وهابيلَ قربانَهُما، فوق صخرة، وانتظر الكلُّ، وحبسوا أنفاسهم لرؤية ما سيحصل، فلم يَمْضِ وقتٌ طویلٌ حتى نزلت نارٌ من

السماء، فاتَّجَهَتْ نحو كَبْشِ هابِيلَ فأخْرَفَتْهُ، وظلَّ الحضورُ منتظرين مصيرَ قربانِ قابيلَ ولكن دون جدوى. فرح هابيلُ بتقبل قربانه، ولكن قابيل استشاط غضباً وعاد لمسكنه وهو فارغ الذهن إلا من الحقد والحسد ومزيدٍ من الكراهية لهابيل، كان طوال الطريق يحدثُ نفسه والشيطان يزيد في نار حقه اشتعالاً، لماذا يتقبلُ الله من هابيل ولا يتقبل منه مع أنه أفضل من أخيه؟، ولكن ما العمل؟، لقد قُضِيَ الأمرُ وليس بوسعِ قابيلَ فعلَ شيءٍ إلا الانتقام من هابيل. وعبثاً حاول آدم أن يهدئ من ثورة ابنه، ويبيِّن له أنَّ أمرَ الله نَفَذَ، وعليه تقبُّل الأمرِ وتدارك ما فات، من خلال قربان جديد ونية صادقة بالقبول، وحذَّره من مكائد الشيطان وتصيده لبني آدم في لحظات الغضب والصراع والتنافس.

لم يَنَمْ قابيلُ ليلته تلك، كان يفكر في كيفية الانتقام من هابيل وإزاحته عن طريقه ليخلو له وجهُ أبيه ويصبح الابنَ المفضل لدى والده وملِكاً في مملكته دون منازع. وأحياناً يتذكَّر كلمات أبيه فيهدأ، ويفكر في حلٍّ سلميٍّ للموضوع، فهو يشعر أنه استهانَ بالقربان وبالغ في حسده لهابيل، لكنَّ الشيطانَ كان له بالمرصاد، ينفثُ في نقاط ضعفه وخلافاته مع أخيه، وقابيل كان في وضعية

من الإحباط واليأس جعلته يُنصِت للشيطان ويدير ظهره لنصائح  
أبيه وصحوة ضميره، فاجتمع عليه اليأس والحسد والكبر.

نَهَضَ الجميع مبكراً للعمل، ودَبَّت الحركة في أرجاء مملكة آدم  
فيما عدا قابيل الذي ظلَّ راقداً في فراشه، فموسمُ الحصادِ انْتَهَى،  
ومفاجأةً البارحة طردت من عينه النوم، لذا تأخَّر في نهوضه  
للحقل. وقبل أن ينتصفَ النهار استيقظَ قابيل وهو منقبض النفس  
وتوجَّهَ إلى الحقل وكلُّ هدفه أن يلتقيَ بهابيل، لكنه لم يجدْه فسألَ  
عنه فقالوا إنه امتطى فرسه وذهب باتجاه الوادي، كانوا يطلقون عليه  
وادي الموت، لأن أغلبَ صيد الحيوانات كان يتم هناك، حيث  
تتجمع معظمُ الحيوانات البرية، وكذلك الطيور التي كانت تتخذ من  
كهوف وشقوق الجبال المطلة على الوادي أعشاشاً لها.

وقفَ قابيلُ وسط الوادي ونادى بأعلى صوته الممزوج  
بالغضب: يا هابيل! أين أنت؟ تعال إليّ، أنا ههنا...

وكرَّرَ النداء، فسمعَ صوتَ أخيه من بُعْدٍ: نعم يا أخي قابيل،  
أنا هنا، انتظرُ سأقدم إليك، معي صيدٌ سمين، ناداه قابيلُ مرةً  
أخرى: اتركِ الصيدَ وتعالَ إليَّ فوراً، أريدُك في أمر غاية الخطورة..

قَدِمَ هابيل ممتطياً جواده، وبادرَ في اختِضانِ أخيه الذي قابَلَهُ  
 ببرودٍ ظاهر، فقال: ماذا بك يا أخي؟، هل حصلَ مكروه؟، لقد  
 أقلقَتَنِي... فردَّ قابيلُ: وماذا عني؟، لم أتمَّ ليلة أَمَس، فقال هابيل  
 متعجباً: ولمَ يا أخي؟، رد قابيل: هل نسيْتَ ما حدثَ لنا؟، أَلَمْ  
 يرفض الله قرباني ويتقبَّل قربانَكَ؟ أنا أعلم أنك أنت سببُ الرفض!  
 تعجَّب هابيلُ من كلام أخيه فقال: أنا؟!، وما دخلي أنا؟!، أنا  
 مثلك قدَّمْتُ قرباناً، فتقبَّلَ الله مني ولا دخلَ لي بقربانك، قال:  
 بلى! من المؤكد أنك اشتكِيتَنِي إلى أبي، فغَضِبَ مني فغَضِبَ اللهُ  
 لِعُصْبِ أبي، فلم يُتَقَبَّل مني، أنت دائماً تشكوني إلى أبي. حاول  
 هابيل أن يهدِّئَ من غضب أخيه ويفهمه أنه مخطئٌ في تفسيره  
 وظنَّه، ولكنَّ قابيل ازدادَ غضباً وعَنَّفَ أخاه، وقال: اسْمَعْ يا هابيل!  
 صحيح أننا توأم ولكني أكبرُ منك، لذا يجب عليك أن تحترمني ولا  
 تنافسني، ردَّ هابيلُ: ولكن ما حصل بالأَمَس لا علاقة له بالتنافس  
 بيننا، هو شيءٌ متعلق بإرادة الله، هو سبحانه بقبول هذا القربان أو  
 رفضه يبتلينا، وطالما لم يُتَقَبَّل منك فعليك بالرجوع إلى الله تعالى  
 وتدارك ما فاتك وإصلاح نفسك، واتهام نفسك، لا اتهام ربك  
 عزوجل واتهامي.

أَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَسْتَشْمَرَ حِدَّةَ الْغَضَبِ عِنْدَ قَايِيلَ، فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ: انْظُرْ إِلَى هَايِيلَ كَيْفَ جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ وَاعْظَافاً وَيَلْقِي إِلَيْكَ بِالنُّصْحِ وَالْمَوَاعِظِ، هَلْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْكَ وَأَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْكَ؟ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ هَذَا، فَأَنْتَ يَقِيناً أَفْضَلُ مِنْهُ! انْفَجَرَ قَايِيلُ فِي وَجْهِ أَخِيهِ وَهُوَ يَصْرُخُ: كَفَاكَ تَعَالِيّاً، تَحْسَبُ نَفْسَكَ أَفْضَلَ مِنِّي، لَا بَدَ أَنْ أَضَعَ حَدّاً لِتَصْرِفَاتِكَ الْمَرِيَّةِ وَغَيْرِ الْمَقْبُولَةِ! تَعْجَبُ هَايِيلُ مِنْ لَهْجَةِ أَخِيهِ الْغَاظِبَةِ، لَذَا بِأَذْرَةٍ: وَمَاذَا تَقْصُدُ بِهَذَا يَا أَخِي؟ رَدَّ قَايِيلُ: يَجِبُ أَنْ تَقْبَلَ مَبَارِزَتِي، يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ أَحَدُنَا، فَمَنْ عَاشَ فَهُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَقْرَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَاللَّهُ هُوَ الْمُقَدَّرُ لِلْمَوْتِ وَيَنْصُرُ أَصْحَابَ الْحَقِّ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ مِنْكَ.

عَبَثاً حَاوَلَ هَايِيلُ أَنْ يُثْنِيَ أَخَاهُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي رَكِبَ رَأْسَهُ بِمَعَاوَنَةِ شَيْطَانِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا عَيِّي، فَإِنِّي أَرْفُضُ تَمَاماً مَبَارِزَتَكَ وَمُقَاتَلَتَكَ، وَسَأَسْتَسَلِّمُ لِقَدْرِ اللَّهِ، وَحَتَّى لَوْ حَاوَلْتَ قَتْلِي، فَإِنِّي لَسْتُ بِقَاتِلِكَ، وَأَحْذَرُكَ بِأَنَّكَ سَتَرْتَكِبُ الْجَرِيمَةَ الْكَبِيرَى، وَسَتَبُوءُ بِإِثْمِهَا حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، لِأَنَّهَا سَتَكُونُ جَرِيمَةُ الْقَتْلِ الْأُولَى بَيْنَ ذُرِيَةِ آدَمَ. انْقَضَ الشَّيْطَانُ عَلَى صَدْرِ قَايِيلَ لِيَنْفِثَ فِيهِ زَفِيرَهُ الشَّيْطَانِي الْأَخِيرَ، وَيُدْفَعُهُ لَارْتِكَابِ جَرِيمَتِهِ: انْظُرْ يَا قَايِيلَ لِأَخِيكَ كَيْفَ يَتَبَخَّرُ، هُوَ مُتَيْقِنٌ أَنَّكَ لَنْ تَقْتُلَهُ، وَسَيَذْهَبُ لِأَبِيكَ وَيَشْكُوكَ مِنْ

جديد والعقوبة ستكون أشدّ لأنك تهدده بالقتل، لا مناصَ يا  
 عزيزي، لا بد أن تزيحهُ من طريقك، اقدِفْهُ بحجرٍ وقلْ لأبيكَ إنه  
 سقطَ منْ على ظهرِ جوادهِ وتستريح ما تبقى من عمرك دون وجود  
 منافس ينغصُ عليك حياتك، هيا يا صاحبي، مصيرك الآتي متوقّفٌ  
 على خطوتك الجريئة هذه، إن هي إلا قذفهُ حجرٍ وتستريح منه!  
 امتلأتْ نفسُ قابيلَ بالغلّ ونزعة الثأر، فالتقط حجراً كبيراً وفاجأ  
 أخاه فضربه على مؤخرة رأسه فخرَّ صريعاً مُضرباً بدمِهِ على  
 الأرض ولَفَظَ أنفاسَهُ الأخيرة، وهو ينظر لأخيه في أسى وحزن  
 ممزجين بعتاب على فعلته الشنيعة.

نظر قابيلُ إلى جثّة أخيه الهامدة، حاول مخاطبته لكنه لم يُجب،  
 وسأل نفسه: هل مات أخي؟ ، قام بتحريكه فلم يستجب،  
 عندها أدرك أنه قد مات، وأنه هو من قتله! ف شعر بالحزن الشديد،  
 فأخوه قد فارق الحياة، وبموته اختفت مشاعرُ الثأر والانتقام  
 والكراهية وحلَّ محلها شعور الأسى والحزن والندم، ماذا سيقول  
 لأبيه؟، هل فعَلَ أخوه ما يستحقُّ القتل؟، كانت عشرات الأوهام  
 تملأُ رأسه قبل مقتل أخيه، ولكن يا للعجب! لقد تبخّرت كل هذه  
 الأوهام أمام هذه الحقيقة المرة وهي موت أخيه، هو الآن لا يجد  
 سبباً واحداً منطقياً يُبرِّرُ قتلَ أخيه، فأين اختفت تلك الأسبابُ

والمبررات؟، هنا أدرك أنه الشيطان، الشيطان الذي أغرى أباه وأمه من قبل بالأكل من الشجرة المحرمة، وأُخرجاً بسببها من الجنة، هاهو يعيد الكثرة مع أحد أبنائه ويجعله يقتل أخاه، تُرى ماذا ستكون العقوبة هذه المرة، فهي جريمة كبرى، لأنها أول عملية قتل، ولأنها قتل الأخ، ولأنه بهذه الجريمة سيحرق كبد أبيه وأمه على ولدهما. ثم إن هناك مشكلة كبيرة أخرى وهي جثة أخيه، ماذا سيفعل بها، هو لا يستطيع أن يذهب بها إلى أبويه، فمنظرُ ابنيهما القتل سيُفجعهما، ولكنه لا بد أن يتصرف بها، هي أول عملية موتٍ لإنسانٍ تواجهه، ولا يعلم بالضبط ما يجب أن يفعل بجثث الموتى من البشر. حملَ قابيلُ جثة أخيه على فرسه وانطلق بها بعيداً عن مملكة أبيه، عسى أن يجدَ طريقةً للتصرف بها. ومَرَّتْ أيامٌ وهو حائر بجثة أخيه حتى فاحت رائحتها، فتضايق منها، وفكّر مراراً في تركها في العراء على الطيور تأكلها، ولكنه لم يتقبل الأمر، إلى أن جاء غرابٌ يبحث في الأرض فكان الحلُّ للمشكلة. راقب قابيلُ الغراب، فإذا به يحفر في التراب ثم يأتي بغراب ميتٍ ليدفنه! شعرَ قابيلُ بالعجز والخلج والإحباط ومات غروره، فهو كان يظن نفسه أفضل من هابيل، فإذا به أدنى منزلة من هذا الغراب الذي دلّه على طريقة لدفن أخيه والتي كان يجهلها هو.

وارى قاييلُ أخاهُ الثَّرى، ثم قَرَّرَ أَنْ يُخْبِرَ أَبَوَيْهِ، فلا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَا بما جرى، ولكنه لم يجروا، لذلك ذهب إلى الديار، ونظرَ من بعيدٍ فرأى أحدَ إخوته، فناداه وأخبرَهُ بكل ما جرى، وكلفَهُ بإخبار أبيه بكل شيء، وأن يدلَّهُم على مكانِ دَفْنِ أخيه، فعلم آدمُ بما جرى لَبْنِيهِ، فحزنَ وحزنت الأمُّ حزناً شديداً وقد فَجَّعَهُم الخبر، لقد خسروا ابْنَيْهِمَا، أحدهما مات قتلاً، والآخر هامَ على وجهه ولا يعلمون مصيره. قال آدمُ والحسرةُ تكادُ تأكلُ قلبه: يا زوجتي وأُمَّ أولادي! تُرى هل قصرنا في تربية أبنائنا؟ لماذا تصرفَ قاييلُ بهذه الطريقة الشنيعة؟، لماذا لم نكنْ على علمٍ دقيقٍ بمكنونات نفوسهم، لكي نعالجَ أي خللٍ يطرأ عليها؟، ثم سكتَ آدمُ لحظةً وأردفَ قائلاً: إنه الشيطان، لقد انتَصَرَ علينا في هذه الجولة أيضاً، لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، هي سنَةُ الحياة على الأرض، إنه الابتلاء، فإما النجاح أو الفشل. لقد كانت هذه أولى حالات الفشل على الأرض والسقوط في الامتحان، فكانت تجربةً مريَّةً لآل آدم.

أما الشيطانُ الأكبر، فكان له ذلك اليوم يوم عيدٍ وبهجةٍ، فما أن وصلَ الخبرُ السعيد لآبليسَ وهو جالس على عرشه فوق البحر يترقبُ الأخبار، حتى طارَ فرحاً وأخذَ كعادته في مثل هذه

المناسبات يرقص على ساحل البحر رقصته الشيطانية التي يتبختر فيها، وهو يمدُّ يديه إلى السماء وينادي: أَرَأَيْتَ يَا رَبِّ؟! أَرَأَيْتَ مَا فَعَلْتُ بِخَلِيفَتِكَ وَذَرِيَةِ خَلِيفَتِكَ؟ لَقَدْ وَصَلَ بِهِمُ الْأَمْرُ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَقْتُلُ الْأَخُ أَخَاهُ مِنْ أَجْلِ عَرَضٍ زَهِيدٍ زَائِلٍ، أَلَمْ أَكُنْ أَنَا الَّذِي كُنْتُ جَدِيرًا بِهَذِهِ الْخِلَافَةِ، أَنَا الْمَخْلُوقُ مِنْ نَارٍ، لَا هَذَا الْكَائِنُ الْمَخْلُوقُ مِنْ حَفْنَةٍ مِنْ طِينٍ، لَقَدْ نَسِيَ نَفْخَةَ الرُّوحِ فِي جَسَدِهِ، وَأَخَذَ يَغْرُقُ نَفْسَهُ فِي الْوَحْلِ، وَغَدَاً سَأَجْعَلُهُ يَغْرُقُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، نَعَمْ يَا رَبِّ! سَأَجْعَلُهُ يَسْجُدُ لِلطِّينِ نَفْسَهُ، سَأَجْعَلُهُ يَسْجُدُ لِلْكَوَاكِبِ وَالشَّمُوسِ، سَأَجْعَلُهُ يَسْجُدُ لَشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، سَأَجْعَلُ الْمَالَ رَبَّهُ، وَلَنْ أَدْعُهُ يَسْجُدَ لَكَ يَا رَبِّ كَمَا وَعَدْتُكَ مِنْ قَبْلِ، سَأُزْرِعُ فِي نَفْسِهِ الْأَنَانِيَّةَ حَتَّى يَصَارَعَ إِخْوَتَهُ وَأَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَتِهِ، سَأَجْعَلُهُ يَنْسَاكَ وَيَكْفُرُ بِنِعْمِكَ وَلَا يَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

وَمِنْ بَابِ الشَّمَاتَةِ، زَارَ إِبْلِيسُ آدَمَ مَغْتَبِطًا لِيُضَعَ نَارًا مِنَ الشَّمَاتَةِ عَلَى نَارِ حَزْنِهِ عَلَى وَلَدَيْهِ، عَلَّ الْأَسَى وَالْإِحْبَاطِ يَقْتُلَانِهِ، وَنَادَاهُ وَهُوَ يَكَاذُ يَطِيرُ مِنْ فِرطِ النُّشُوءِ:

يَا آدَمُ! يَا مُنَافِسِي عَلَى اللَّهِ، يَا مَنْ كُنْتَ سَبَبًا فِي غَوَايِي وَخُرُوجِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَسَبَبِ شِقَائِي الْأَبَدِيِّ! أَأَنْتَ الَّذِي كَرَّمَكَ

الله عليّ؟ ها أنت خالفت أمر الله وأنت غارق في نعم الله في الجنة من أجل شجرة لا تملك ميزة على باقي الشجر، فبمجرد أي قلت لك إنّها شجرة الخلد دون أن تدرك أي عدوك الأبدي، نسيت أمر الله واستسلمت لي، ثم هاهم أولادك، قتل أحدهم الآخر من أجل لاشيء، فضاع أحدهما في الضلال ورحل الآخر إلى الأبد. صحيح يا عزيزي أي لم أجبركم على شيء، ولم أكرهكم على طاعتي وإنما هي مجرد اقتراحات ومغريات بالكلام فأطعتموني، ولكن يجب أن تعترف يا آدم أنني الأفضل بمكري ودهائي، وأي كنت أهلاً لهذه الخلافة منك، وإلا فإنّ طريق الصراع بيننا ما زال في أوله، وقد أذقتك مرارة أول خطوة منه!

قال آدم والأسى لايزال يلقي بظلاله على كيانه، فحرّمه الأنس وطعم الحياة: كلا يا عدوّ الله! أنت شرّ خلق الله تعالى، فقد تكبرت على أمر الله، الله الذي جعلك في صف الملائكة المقربين، دمرك غرورك وعنادك، وها أنت مطرود من رحمة الله، ملعون ومنبوذ من كل الملائكة، ويوم القيامة سيكون مصيرك المحتوم نار جهنم خالداً فيها مع من يتبعك من ذريتك. أما ذريتي، فباب رحمة الله تعالى مفتوح لنا، من أخطأ وتاب وأناب قبل الله توبته، وعاقبة المخلصين جنات تجري من تحتها الأنهار، جنات

خيرٌ من تلك التي هبطنا منها نتيجة استجابتنا لِغوايتك، أما مَنْ  
تبعك منهم فسيكون مصيرهم كمصيرك، وقوداً للنار.



## رحلة إلى بيت الله

أَرَادَ اللهُ أَنْ يُشْغَلَ آدَمُ عَنْ مَعَانَاتِهِ وَسَطَ كُلِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَلَا سِيَّما مَوْتَ ابْنِهِ الْأَصْغَرِ وَضَلَالِ ابْنِهِ الْأَكْبَرِ، لَذَا أَرَادَ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ مَكَانَ الْأَحْدَاثِ لِفَتْرَةٍ وَيَتَوَجَّهَ لِمَكَانٍ آخَرَ فِي الْأَرْضِ لِيَشْغَلَهُ بِأَمْرٍ آخَرَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ قَوَاعِدَ الْكَعْبَةِ لِتَصْبِيحَ بَيْتاً لِلَّهِ، يَزُورُهُ الْمُؤْمِنُونَ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّنَسُّكِ مِنْ كُلِّ بَقَاعِ الْأَرْضِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَطَّلِعُونَ عَلَى أُمُورِ النَّاسِ كَافَةً، فَيَتَكَافَلُونَ وَيَتَرَاكُمُونَ وَيَتَشَارَكُونَ فِي قَضَائِهِمْ وَهَمُومِهِمْ. امْتَثَلَ آدَمُ لِلأَمْرِ وَأَخْبَرَ أَهْلَهُ بِذَلِكَ وَاسْتَعَدَّ لِلْسَفَرِ وَقَرَّرَ تَرْكَ زَوْجَتِهِ لِتَتَوَلَّى أُمُورَهُ مِنْ بَعْدِهِ بِمُسَاعَدَةِ أَوْلَادِهِ.

وَفِي طَرِيقِهِ حَنَّ قَلْبُهُ لَزِيَارَةِ قَبْرِ وَلَدِهِ هَابِيلَ الَّذِي دَفَنَهُ قَابِيلُ عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ. وَقَفَ آدَمُ عَلَى ضَرْيَحِ وَلَدِهِ ذَارِفاً لِلْعِبَرَاتِ، مُتَذَكِّراً أَيَّامَ

الطفولة والصبا والضحكات وجلسات ذكر الله، ذكريات حزنٍ  
تعصر قلبه الموجوع فلم يتمالك نفسه فناداه:

السلام عليك يا فلذة كبدي...

عز علي ما حدث لك مع أخيك...

ولكنه الابتلاء ومكيدة الشيطان وهوى النفس...

يغفر الله تعالى لكما..

لم أكن أتوقع أن أحداً من أولادي سيسبقني إلى لقاء الله  
تعالى...

فأهناً برحمة الله وثوابه...

والسلام عليك يوم وُلدتَ ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حياً.

من خلال قطع آدم الفيافي والوديان والجبال والأنهار في رحلته  
إلى مكان بيت الله، شعر آدم على الرغم من فراقه لأهله بارتياحٍ  
وهو يتعد عن المكان الذي ذاق فيه مرارة فراق فلذة كبده ولو  
مؤقتاً، ولاسيما أن رحلته هذه رحلة تعبديّة امتثالاً لأمر الله تعالى  
وبناء بيته الذي ستزوره ذريته من بعده من كل حدب وصوب.

لَمْ تَوَاجِهْ آدَمَ خِلَالَ رَحَلَتِهِ صَعَابٌ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّ مَا كَانَ يُؤْرِقُهُ  
 حُلُولُ اللَّيْلِ وَسُكُونُهُ حَيْثُ كَانَتْ الْهُمُومُ تَرَاوِدُهُ فَتَشِيرُ أَسَى الْمَاضِي  
 الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ، فَالشَّيْطَانُ كَانَ لَهُ بِالْمَرْصَادِ، يَذْكُرُهُ بِمَا مَرَّ بِهِ مِنْ  
 أَحْدَاثٍ لِيَحْزَنَ، لَكِنْ آدَمُ أَصْبَحَ الْآنَ خَبِيرًا بَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ،  
 فَكَلِمَا وَسُوسَ لَهُ شَيْئًا هَبَّ آدَمُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، يَذْكُرُهُ وَيَتَعَبَدُهُ حَتَّى  
 تَنْزَاحَ عَنْهُ الْوَسَاوِسُ وَيَعُودَ مُنْشَرَحَ الصَّدْرِ، مُرْتَاحَ الْبَالِ.

وَصَلَ آدَمُ مَشَارَفَ الْمَكَانِ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ اللَّهُ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ بَيْتَهُ  
 الْحَرَامَ، مَكَانَ تَحِيطُ بِهِ جِبَالٌ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ثَمَرَ وَلَا مَصْدَرَ مِيَاهٍ  
 وَحَيَاةٍ، فَتَعَجَّبَ آدَمُ وَقَالَ: يَا رَبُّ لَقَدْ طَفْتُ الْأَرْضَ وَرَأَيْتُ فِيهَا  
 أَمَاكِنَ كَثِيرَةً لَا تُحْصَى أَنْسَبُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، حَيْثُ الزَّرْعُ وَالْمَاءُ  
 وَالْهَوَاءُ الطَّيِّبُ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ اللَّهُ: يَا آدَمُ! أَنَا أَعْلَمُ بِكُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ  
 فِي الْأَرْضِ، فَأَنَا خَالِقُهَا وَمَقْدِّرُ أَرْزَاقِهَا، وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أَشِيدُ بَيْتِي  
 لِيَحْجَّ إِلَيْهِ النَّاسُ، هَذَا هُوَ أَنْسَبُ مَكَانٍ لِبَيْتِي، إِلَى هَذَا الْمَكَانِ  
 سَيَحْجُّ النَّاسُ كُلُّ عَامٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ لِيَجْتَمِعُوا عَلَى طَاعَتِي،  
 وَسَأَجْعَلُهُ بَيْتًا حَرَامًا آمِنًا، يُحَرِّمُ عَلَى النَّاسِ الْقَتْلَ فِيهِ وَسَفْكَ  
 الدِّمَاءِ، أَمَّا مَا تَرَى مِنَ الْجُنُفِافِ وَقَلَّةِ مَصَادِرِ الزَّرْعِ، فَأَنَا كَفِيلٌ  
 بِتَوْفِيرِ مَصَادِرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَجْعَلُ قُلُوبَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ  
 فَتَقِيمُ فِيهِ، وَتَبْنِي مَدَنًا وَقُرَى، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

قبل أن يشرع آدم في بناء قواعد البيت، جذب انتباهه بعض الحجارة، رائعة الجمال، ملقاة عند أحد أركان المربع الذي سيشكل بيت الله، فقال: يا رب ما هذه الحجارة التي يختلف شكلها ولوئها عن كل الأحجار المحيطة بالمكان، فإني لم أر لها مثيلاً في كل ما مرّ بي من أحجار على سطح الأرض؟، فأوحى إليه الله أن هذه بعض أحجار الجنة، أحضرتها الملائكة لتكون جزءاً من بِنَانِ البيت الحرام، فقال آدم: وما الغرض من وجودها ضمن البنيان؟ فبيّن له الله أن الناس سيظوفون بهذا البيت سبعاً، وعيّنهم مع كل طواف على الركن الذي سيحوي هذه الحجارة، لكي تذكّركم بالجنة، فهي هدفتهم النهائي من العيش في الدنيا، هي غاية الغايات، لكي تهون أُمَامَهُمْ كل الصعاب التي لا تُؤْهِمُها حتى وصلوا إلى هذا المكان، ولا يشغلهم حين يعودون لديارهم أي شيء عن غايتهم التي خلّقوا من أجلها.

بدأ آدم في حفر قواعد البيت الحرام، بحسب ما أوحى إليه ربه وفي المكان نفسه الذي حدّده له، ووضع حجارة الجنة عند أحد أركانها، ثم بعد أن أخذ قسطاً من الراحة، بدأ بمناسك الطواف حول البيت، وهو يردّد اسم الله في كل طواف، متأملاً ما حوله من جبال وهضاب، يسترجع ذكرياته السابقة بحلوها ومُرّها، ويحمّد الله

على هذا التكرم العظيم، حيث اصطفاه لهذا الأمر العظيم، وجعله  
أول البشر على سطح الأرض، وكلفه ببناء بيته الذي سيحج إليه  
الناس بعده أفواجا إلى يوم الدين.

وبعد أن أكمل آدم الطواف، شعر بقوة إيمانية تملأ روحه، وشعر  
أنه أقرب إلى الله من ذي قبل، فوقف عند حجر الجنة، وقبله وبَّله  
بدمعه، متذكراً بشوق جارٍ أيام الجنة وجمالها وعصيان الله  
 وخروجه منها. لم يتمالك آدم نفسه من الحزن والاشتياق، فالتصق  
بجدار البيت وانهمرت دموعه، وأخذ ينادي الله مُستغيثاً وطالباً  
المغفرة على ما بدر منه من عصيان، راجياً عفو له ولذريته،  
فكانت تلك الدموع والابتهالات كالبلسم الشافي لقلبه، فانزاحت  
كل همومه، وتلاشت كل أحزانه، لذا شعر بالحاجة الملحة إلى  
العودة إلى الديار، ليستأنف دورة في الأرض كما رسمه الله له.

كان يوماً مهيباً لآدم، ولكنه كان في الوقت نفسه يوماً مخزناً  
لإبليس وشياطينه، فهذا البيت سيكون بمثابة بيت للغفران والتوبة  
لبنى آدم، سيحجون إليه كل عام ليطلبوا المغفرة من ربهم، وسيغفر  
الله لمن صدق في نيته وعبادته وأتم حجه كما أمر الله، وبذلك  
ستضيع جهود سنة أو سنوات من الغواية. فهاهو آدم الذي جاء

قبل أيام إلى هنا وهو محطّم الفؤاد، كسيرُ القلب والمشاعر، فإذا به  
يعود مُستبشراً مَسروراً، مُنشرح الصدر والفؤاد.



## على فراش الموت

عاد آدم إلى مملكته، فاستقبله الجميع بالحفاوة والاشتياق، فقصَّ عليهم ما واجهه في رحلته، وأنه قد وَفَّقَهُ اللهُ لإنجاز أهم رحلة في حياته على الأرض، حيث أرسى قواعد بيت الله الحرام، وقام بالطواف حوله، ودعا لهم عنده، ووعدهم بأن يأخذهم معه في المرة القادمة إن قَدَّرَ اللهُ له ذلك، وإذا سَبَقَهُ الأجل، فعليهم أن يحجوا إليه بأنفسهم إن اسْتَطَاعُوا إلى ذلك سبيلاً.

شعر آدم بالتعب من رحلته هذه، ولاحظت ذلك زوجته، لذا أعدت له الفراش لينام ويستريح، ويوماً بعد يوم تدهورت صحته، وشعر أنها أيامه الأخيرة على الأرض، وأنَّ أجله قد اقترب، ودنت ساعة رحيله عن الدنيا، لذا أخبر زوجته بأن تجتمع له أبناءه ليلغهم وصيته الأخيرة قبل الرحيل.

اجتمع أولادُ آدمَ عند أبيهم، وهم يشعرون بالأسى لحاله، فهُمْ لايتصورون الحياةَ من دونه، فهو أبوهم وهو نبيُّهم وهو مرشدُهم، يرجعون إليه في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، فكيف إذا غادرهم، فَمَنْ سيستشيرون من بعده، وَمَنْ سيخففُ عنهم معاناتهم، ويواسي جراحهم، ويفض منازعاتهم. نظرَ آدمُ في وجوههم، وقرأَ ما يدور في رؤوسهم، فطلبَ من زوجته أن تساعدَه في الجلوس ليكلّمهم، وبعد أن أخذَ مجلسَه، قال لهم:

يا أولادي وخيرَ من أخلفُ في هذه الحياة وذخري في حياتي من بعد موتي! أوصيكم أولاً بوالدكم، فهي ستعاني كثيراً بعد رحيلي، فقد عشنا حياتنا في الجنة وبعد هبوطنا، ولنا مع بعضِ ذكرياتٍ حلوةٍ وأخرى مُرّة، لذا من الصعب عليها نسيانها، فحاولوا جهدكم إشغالها، وامنحوا لها حُبَّكم وحنانكم لتعوّضوها عن فراقِي.

يا أولادي!

أوصيكم ثم أوصيكم بمعرفة الله ربِّكم الأعلى وخالقكم ورازقكم، واجعلوا كل توكّلكم عليه، و ضَعُوا كلَّ ثقتكم فيه، فنصفُ الدِّينِ التوكّلُ على الله، وأوصيكم باتِّباعِ هُداة وتجنّبِ

معصيته، فقد قصصْتُ عليكم مراراً وتكراراً ما آل إليه حالنا بعد مخالفة أمرِهِ وتناول ما حرَّمَهُ علينا.

أحبائي!

أحذركم من عدوكم اللدود الشيطان، فوسوستُهُ وإغراءتُهُ هي التي سببت إخراجنا من الجنة، مع أَنَّهُ لم يكنْ له سلطانٌ علينا، وكل ما يفعله هو اقتراحاتٌ يقدمُها، فأما أَن نَقبلَ أو نرفض، وسيحاول استدراجكم للمعصية والانحراف كما استدرجنا، فَيُزَيِّنْ لَكُمْ المحرمات، ويثير فضولكم، وأحياناً سيجعلُ الانحرافَ أفكاراً ومبادئٍ غُليا تعتنقونها وتنشرونها. لا تستغربوا إذا استطاعَ أَن يجعلكم تتركون عبادةَ الله وتُتجهون لعبادةِ الحجر والبقر والنجم والشجر، وعبادةِ الشمس والقمر وطغاةِ البشر! أراكم تستغربون! نعم بوسعِهِ أَن يزيِّنَ لكم أَن تفعلوا أكثر من ذلك، وقد رأيتم كيف جعلنا لا نفتنُ بكل أنواعِ الثمر في الجنة، فزيَّنَ لنا الأكلَ من ثمرة الشجرة المحرمة. يجبُ أَن لا تنسوا أَنَّهُ وعدَ الله بإغوائنا، فقد خسَرَ كلَّ ما منحه اللهُ من تَكريمٍ جرَّاءِ عداوتِهِ لنا واستكباره على أمرِ الله تعالى، وطُرد من رحمةِ الله، وأصابته اللعنةُ وينتظرُهُ الجحيمُ

الأبدى، خالداً فيه هو وشياطينه ومن تبعه منكم، لذلك لن  
يدعكم وشأنكم تعبدون الله دون موانع وعوائق.  
أولادي!

سيرسل الله تعالى لكم بعدي رسلاً يبلغونكم هدى الله، لتحيوا  
في ظله، وتعيشوا حياتكم في طاعته، وسيرسل مع كل رسول من  
الدلائل التي ستثبت أنه مرسل من عند الله، فعليكم بعد التثبيت  
من صدق الرسول، أن تتبعوه وتناصروه وتنشروا هداة بين الناس.

زوجتي الوفية أم البشر!  
شكراً لك على كل ما بذلتيه من أجلي من احترام ومودة، لقد  
عشنا حياتنا أباً وأماً للبشر، وشرفنا الله تعالى بهذا التكريم،  
وشاركتني أفراحي وأتراحي، ولكن لكل أجل كتاب، قدّر الله تعالى  
لي أن أرحل وأتركك، ولكنك لن تكوني وحيدة يا عزيزتي، فذكريات  
العمر معك تواسيك، ومعك الله تعالى لن يغفل عنك لحظة،  
فتشبعني بقوته وعونه، والزّمي طاعته وهداه، فما خاب من التّجأ  
إليه وعاش في ظل منهجه، قومي بتربية أبنائنا وذرياتنا على منهج  
الله، وحذريهم مما حذرنا الله منه، هم أمانه الله أتركها لك.  
زوجتي وأبنائي الأعزاء على قلبي!

وصيتي الأخيرة لكم أن لا تتنازلوا لغير الله تعالى عن حريتكم،  
فهذه الحرية وإرادة الاختيار والعقل هي خير نعم وهبها الله لنا نحن  
البشر، فكل ما في الكون مسخر، لا يملك إلا الطاعة، أما نحن  
البشر فمخيرون، فلا يخدعنكم من يقدم لكم الانحراف تحت  
عناوين ومسميات مختلفة، ليسلب منكم حريتكم ويجعلكم أسرى  
إرادته، أما من ادعى أنه نبي مرسل أو ولي من أولياء الله تعالى،  
فتأكدوا من طريقته في الحياة، وتبينوا إن كان حقاً هو على هدى  
الله، وهدى الله إليكم لن ينقطع، فاعرضوا كل أموركم على هدى  
الله، فما وافقه اتبعوه وما خالفه فاجتنبوه، عيشوا أحراراً مع الله  
ولا يستعبدنكم غيره. إن شياطين الإنس قبل شياطين الجن،  
سيحاولون أن يغسلوا أدمعتكم ويزيحوا عنها كل أثر للإيمان، لكي  
يستطيعوا أن يحكموكم، فلا يستخفنكم، استغلوا عليهم بإيمانكم.

زوجتي وأبنائي!

أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، أسلمتكم لحفظ الله  
تعالى ورعايته والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، موعداً جنة الخلد  
إن شاء الله....

وَتَفَحَّصَ آدَمُ وَجَهَ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَرَأَى فِي عِيُونِهِمُ الدَّمْعَ  
تَنَهَمُرُ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرَكُوهُ لِيَخْتَلِيَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلَدِيهِ مَا يَقُولُهُ  
لِلَّهِ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَيَدْعُو لَهُمْ...

تَرَكْتُ حَوَاءَ وَأَبْنَاءُهَا آدَمَ كَمَا أَمَرَ، وَظَلَّ أَبُو الْبَشَرِ وَحْدَهُ، يَبْدُو  
أَنَّهُ بُلِّغَ بِذَلِكَ، كَيْ يَتَسَنَّى لِلْمَلَائِكَةِ أَنْ يَفْعَلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ لِإِتْمَامِ  
وَفَاتِهِ وَرَحِيلِ رُوحِهِ إِلَى بَارئِهَا، وَجُوَّ كَهَذَا يَتَطَلَّبُ أَنْ يَبْقَى آدَمُ  
لَوْحْدِهِ، فَهَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ لاسْتِقْبَالِ آدَمَ وَتَهْيِئَتِهِ لِلرَّحِيلِ،  
فَكَيْفَ سَيَكُونُ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَإِلَى عَرْشِ اللَّهِ؟.

pdfelement

## الرجوع إلى الجنة

تَيَقَّنَ آدَمُ بَعْدَ رُؤْيَيْهِ لَتِلْكَ الْوُجُوهِ الْمَلَائِكِيَّةِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ أَهَّهَا  
سَاعَةُ الْأَجْلِ، فَظَلَّ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيُشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ  
الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.  
وَأَقْبَلَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْلِمًا عَلَى آدَمَ وَبَشَّرُوهُ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ  
وَتَدْعُوهُ لِنَبْذِ الْخَوْفِ وَالْحُزَنِ، لَا يَخَافَنَّ مِمَّا هُوَ آتٍ، فَمَا هُوَ آتٍ هُوَ  
رَحْمَةُ اللَّهِ، وَلَا يَحْزَنَنَّ عَلَى مَا فَاتَ، فَهُوَ بِيَدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِأَهْلِهِ  
مِنْهُ. وَحِينَهَا، شَعَرَ آدَمُ بِرَاحَةٍ نَفْسِيَّةٍ، وَزَالَ عَنْهُ الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ  
وَأَحْسَسَ بِرَغِيَّةٍ جَارِفَةٍ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ أَدَّى الدَّوْرَ الَّذِي طُلِبَ  
مِنْهُ، وَحَقَّقَ الْغَايَةَ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهَا.

وَفِي غَمْرَةِ التَّجَمُّعِ الْمَلَائِكِيِّ، أَقْبَلَ مَلَكٌ كَرِيمٌ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ  
لِقُدُومِهِ، إِنَّهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَاقْتَرَبَ مِنْ آدَمَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَطَمَأَنَّهُ  
وَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، وَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَبَا

البشر، السلام عليكم يا آدم! أنا مَلَكُ الموت، أرسلني الله تعالى إليك، وسيرسلني إلى زوجتك وكلّ ذرّيتك، مهمتي نزعُ روحك من جسدك، فلمْ يَعُدْ لجسدك دورٌ يؤديه، وقد أهلكته الدنيا وأحداثها، وأهلكته الشيخوخة، فلا بدّ من أن نُلقيهُ عنك، فتنطلق روحك حُرَّةً برفقتنا إلى السموات وإلى عرش الرحمن لتلتقي به. وقد أمرني ربي أن أخبرك بين لقاء الله تعالى أو البقاء مخلداً في الدنيا، ملكاً متوجّحاً، فماذا تقول؟. انتفضَ آدمُ لهذا الاختيار، وكيف له أن يختار على لقاء الله تعالى شيئاً؟، فقال دونَ تردّدٍ: بل لقاء الله تعالى، هو ربي وهو خيرٌ لي وأكرم.

في هذه اللحظة الحرجة لم يتركهُ إبليس، فقد حاولَ أن يصلَ إليه ليُغريه بالمكوث في الدنيا، طالما سيظلُّ فيها ملكاً وناداه: يا آدم! مالكَ تتعجلُ لقاءَ الله، هاهو مَلَكُ الموت ييسرُكَ برضا الله تعالى، وما زالت الحياةُ أمامك ممتدةً، ووراءك أولادٌ وزوجةٌ سيؤلّمهم فراقك، ماذا عليك لو تريثتَ وبقيتَ في الدنيا حتى يكبرَ أولادُك وتكثرَ ذريّتك؟ هيا يا آدم! قلْ لملكِ الموتِ فليترَيثْ، فأنتَ لا ترفضُ لقاءَ الله تعالى، ولكنَّ حبّك في البقاء في الدنيا إنما هو غايته الإكثارُ من طاعةِ الله وهدايةِ البشر. غيّرَ اختيارك، واختَرِ البقاءَ مخلداً في الدنيا، فالدنيا دون وجودك مظلمة! نظرَ آدمُ غاضباً

لعدوه اللدود وَنَهَرَهُ: اغْرُبْ عن وجهي يا عدوّ الله، أنا لن أرفض لقاء الله، فأنا في شوقٍ للقائه، وما قيمة كل الدنيا مقارنةً بلقاء رب العالمين، كلا يا عدوي! سأختار لقاء الله، ولن أختار البقاء في الدنيا، فهي دار امتحان وبلاء.

أصاب الشيطان اليأس من المحاولة الأخيرة لغواية آدم، فأراد أن يدخل عليه من زاوية أخرى فقال له: قد يئستُ من غوايتك، ولكني سوف لن أدخر جهداً أنا وذريتي في غواية ذريتك، سنجعلهم يتساقطون في بحر الغواية والانحراف، ولن يجد الله أكثرهم شاكرين، فردّ عليه آدم: إن الله تعالى معهم، لن يتركهم وسيهديهم ويبعد عنهم سموم حقدك وغوايتك، أنت مخلوق ملعونٌ ومطرود من رحمة الله تعالى، وجزأوك وجزأ من اتّبعتك نار الجحيم فيها مخلدين.

شعر آدم كأنّ سكره انتابته، وبغيايٍ عن الوعي، وجسمه بدأ يخفّ، فأخبره ملك الموت أنها سكره الموت، لكي يهوّن الله على عباده المؤمنين نزاع أرواحهم من أجسادهم، وستتم عملية النزاع بهدوءٍ ودون تسرعٍ حتى تخرج الروح من الحلقوم بسلاسة. وحين وصلت روح آدم الحلقوم، شعر بتغييرٍ في حدة بصره، فهاهو يرى الملائكة على صورتهم الملائكية، واقفين ينتظرون خروج

الروح وهم ييشرونه ويطمئنونه، وانتزع ملك الموت روح آدم  
وسلمها مباشرة إلى الملائكة المرافقين الذين وضعوها في كفن  
زكي الرائحة أحضروه معهم من الجنة، ثم عرجت الملائكة بالروح  
وشيعتها إلى السماء كأطيب ريح مسل، حتى إنهم كلما مروا  
على نفر من الملائكة المنتشرين في السماء، يسألونهم ما هذه  
الريح الطيبة؟ فيجيبون: إنها روح آدم أبي البشر، وأدُم يسمع كل  
ما يدور من حوار فيما حوله، حتى وصلوا إلى السموات  
فاستفتحوها سماءً بعد سماء، وفي كل سماء يسأل حراسها: من هذه  
النفوس؟ فيجيبون: إنها نفس آدم أبي الناس أجمعين، حتى وصلوا إلى  
عرش الرحمن، فتركوه ليلتقي بربه بعد رحلة الدنيا المريعة.

وقف آدم إزاء ربه مُطرقاً رأسه، وقد حجبت ذات الله العلية  
الأنوار، ونادى ربه: التحيات لله الطيبات المباركات، فردَّ عليه ربه:  
السلام عليك يا خليفتي في الأرض، لقد أدَّيت ما عليك من دور،  
وقد رضى عنك وسرُضيك، لا تقلق على ذريتك، سوف لن  
أتركهم لوساوس ومكائد عدوهم وهتافات غرائزهم، سنرسل لهم  
الأنبياء والرسل لهدايتهم، فمن أطاعهم دخل جنتي ومن عصى  
واستكبر ورفض هُداي أدخلته ناري.

تَسْنَى لآدَمَ أَنْ يَجُولَ بنظره إلى المكان الذي يقفُ فيه، لقد مرَّ يوماً ما من هنا، نعم! هنا كان مسكنُهُ من الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض، هاهو يعود إليها. علَّمَ الله ما يدورُ في خلدِ آدَمَ فناده: أتذكرُ يا آدَمَ حين أُخرجتَ من الجنة لمخالفتك أمري؟، ها أنتَ تعودُ إليها، أترى تلك الشجرة العظيمة؟، عندها الجنة الموعودة. وفتحَ الله له نافذةً إلى الجنة لينظر فيها إلى النعيم الذي سينظره، أي جمال! وأي روعة! وأي نعيم! قال ياربِّ إنَّها خيرٌ من جنتي التي كنتُ فيها، قال بل وستزداد مع الأيام جمالاً حتى يأتي يوم دخولكم إليها، قال ياربِّ دعني أسكن فيها الآن! قال يا آدَمُ! لا تعجل! فهذه جزاء لكم ولم يأتِ يومُ الجزاءِ بعدُ، ولكن اذهبْ فَنَمَ واسترخ من تعبِ الدنيا، يجبُ أن تعودَ للأرض، وحين يحينُ الأجلُ الموعود، سَتُبْعَثُونَ مرةً أخرى، وستحاسبون ثم تنالون جزاءَ أعمالكم، إما إلى جنةٍ أبداً أو إلى نارٍ أبداً...

عادَ آدَمُ من رحلته ليرى زوجته وأولاده وهم يقومون بدفنِ جسده، ويترحمون عليه، والحزنُ مخيمٌ عليهم، والدموعُ تنهمرُ على وجناتهم، كم تمنى أن يصلَ إليهم صوته ليخبرهم ألا يحزنوا، فقد أكرمَ الله استقباله وبشره بالجنة وأنه رأى منزلته فيها. كان يريدُ أن يقولَ لهم إنَّ الدنيا صغيرةٌ صغيرةٌ مقارنةً بما رآه في الملكوت

الأعلى، وإنها لا تساوي شيئاً، وإنَّ أهمَّ شيءٍ فيها وله قيمته التي  
يجب أن يلتفتوا إليها ويعطونها جُلَّ اهتمامهم هو العبودية لله  
والعيش في ظلِّ منهج الله، ولكنه الآن أصبح في عالم البرزخ حيث  
لا يمكنه أن يخبرهم إلا في عالم الرؤى، فليَنَمْ إذاً، وليَرَ أحوالَ  
دُرِّيَّته، وليطلِّع على تفاصيلِ حياتهم، وهو لم يدَّخِرْ وسعاً في  
إرشادهم وتحذيرهم، وهُمْ بعد ذلك أحرارٌ مُخَيَّرُونَ في سلوك طريق  
الله أو طريق الشيطان.



## لقاء الأُحبة

ظَلَّتْ حَوَاءُ بَعْدَ آدَمَ تُشْغِلُ نَفْسَهَا وَوَقْتَهَا فِي الإِشْرَافِ عَلَى  
تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا وَتَوْجِيهِهِمْ بَعْدَ رَحِيلِ آبِيهِمْ، وَكَانَتْ تَعِيشُ مَعَ  
الذِّكْرِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تَرَكَّهَا لَهَا زَوْجُهَا، وَالْإِشْتِيَاقُ إِلَى رُؤْيَاهَا لَمْ  
يَفَارِقْ خَيَالَهَا. كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ يَذْكُرُهَا بِهِ، فِرَاشُهُ  
وَمَلَابِسُهُ وَعَصَاهُ الَّتِي كَانَ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ، وَظِلُّ تِلْكَ  
الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ يَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، وَضَفَافُ ذَلِكَ النَّهْرِ الَّتِي كَانَ  
يَغْتَسِلُ وَيَسْبِخُ فِيهِ وَيَجْلِسُ مَعَهَا عَلَى ضَفَافِهِ يَتَسَامَرَانِ...

ذِكْرِيَّاتٌ ... مِثْلُ الذِّكْرِيَّاتِ ...

كَانَ طَعْمُ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ عِنْدَ رَحِيلِهِ مُرًّا... يَعْصُرُ الْقَلْبَ  
وَيَقْتَاتُ الْحَيَاةَ..  
وَلَكِنْ...

بَعْدَ أَيَّامٍ مِنَ الرَّحِيلِ وَالْفِرَاقِ، وَبَعْدَ أَنْ جَفَّتِ الدَّمُوعُ، وَانْقَضَتْ  
 أَيَّامُ الْبَلَاءِ، وَغَابَ جَسَدُ الْحَبِيبِ بَيْنَ أَكْوَامِ الثَّرَابِ، وَانْطَلَقَتْ  
 رُوحُهُ، تَسْرُحُ فِي الْأَرْضِ وَتَمْرُحُ فِي السَّمَاءِ، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَرْجَعَتْ  
 الزَّوْجَةُ الْمَخْلُصَةُ صَبْرًا وَحَمْدًا، مُبْدِيَةً بِمَا سَطَّرَ لَهَا الْقَدَرُ مِنْ أَحْدَاثٍ  
 مُؤَلِّمَةٍ رِضًا وَشُكْرًا، اسْتَحَالَ طَعْمُ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ شَهْدًا، وَصَارَتْ  
 بَلَسَمًا لِلْجِرَاحِ.

غَيْرَ أَنَّهُ بَيْنَ الْقَيْنَةِ وَالْفَيْنَةِ، تَنْبَعُ شَرَارَةُ الْإِحْسَاسِ بِالْفِرَاقِ مِنْ  
 تَحْتِ الرَّمَادِ، كَالسَّوْطِ تُلْهَبُ الْفُؤَادُ! لُثْثِيرٌ فِي النَّفْسِ أَسَى  
 الذِّكْرِيَّاتِ، وَتُشْعِلُ فِي الْقَلْبِ لَهَبَ الذِّكْرِيَّاتِ...  
 وَلَكِنْ...

سُرْعَانَ مَا تَنْبُتُ مَكَانَ النَّارِ زَهْرَةٌ، زَهْرَةُ الْأَمَلِ بِاللِّقَاءِ، أَرْجُهَا  
 يُنْعِشُ الْفُؤَادُ...

هَكَذَا صَارَ قَلْبُ حَوَاءَ بَعْدَ رَحِيلِ آدَمَ، يَتَقَلَّبُ بَيْنَ أَحْضَانِ  
 الذِّكْرِيَّاتِ، تَارَةً صَحَارِي، وَتَارَةً وَاحَاتٍ، تَارَةً أَزْهَارًا وَأُخْرَى  
 أَشْوَكََا...

وَيَوْمَ تَوَارَتْ شَمْسُ آدَمَ فِي أَفُقِ الزَّمَانِ، سَجَى حَوَاءُ الدُّجَى،  
 وَلَقَّهَا لَيْلٌ طَوِيلٌ، أَنَارَهُ نَجُومُ أَنْفَاسِ زَوْجِهَا الْمَتَنَاثِرَةِ هُنَا وَهَنَا...

وأحياناً... يُضيءُ بدرُّهُ في سماءِ أحلامِها فتنتعشُ من جديد...  
 وأحياناً... يُمطرُ مُحْيَلَتَها طيفُ ذِكرِها، كصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ، فيه  
 رعدٌ وبرقٌ وظلمات... ظلماتُ غيابه، ورعدُ نحيبِها، وبرقُ  
 ابتسامتِها، فتنتعشُ حين يُضيءُ، وحين يَغيبُ تَسْكُنُ وتُقيم...  
 هكذا صارَ قلبُ حواءَ، يتقلبُ في عالمِ الذكرياتِ، تارةً ظلاماً  
 وتارةً ضياءً، تارةً وجوداً وتارةً فناً...

حبيبها طائرٌ حرٌّ طليقٌ، تركها في قفصِ الذكرياتِ تَنَشِّدُ  
 وحدها.. أنشودةَ الحزنِ والفراقِ، بلا أنيسٍ... ولا صديقٍ...!  
 فذكرها قد أسَرَ الخيالَ، أما قلبُها، فمطمورٌ هناك، بين أكوامِ  
 الثرابِ، وارثُهُ حينَ وارثَ جَسَدِها الثَّرى، ولم يبقَ لها إلَّا الجسدُ،  
 وهل ينفعُ الجسدُ بلا قلبٍ وخيالٍ؟! .

لم تلبثْ حواءُ بعده طويلاً، فقد وافاها الأجلُ المحتومُ، ولكنَّ  
 عزاءَها أنَّها كانتْ مُسْتَبْشِرَةً برؤيا رَأَتْها قبلَ أيامٍ من وفاتها، فقد  
 زارها آدمٌ في المنامِ وبشَّرها بأنَّها ستلتحقُ به قريباً، لتلتقي الأرواحُ  
 مُجَدِّداً في عالمِ البقاء.

صَعَدَتْ رُوحُ أُمِّ الْبَشَرِ بِرَفَقَةِ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ، لِلِقَاءِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ، وَاسْتَفْتَحُوا لَهَا بَابَ السَّمَاءِ الْأُولَى، فَكَانَتْ الْمَفْجَأَةُ الَّتِي  
أَسْعَدَتْهَا أَنَّ رُوحَ آدَمَ كَانَتْ فِي الْإِنْتِظَارِ لِيَلْتَقِيََا مِنْ جَدِيدٍ!.



# المحتويات

5	توضيحٌ للقارئ الكريم
7	ما قبل آدم
11	الإنسانُ الأوَّل
15	الاحتفالُ المهيِّب
20	العدُوُّ المَرَبِّص
26	أيامُ النَّدم
32	خطواتٌ على طريقِ الخلافة
38	الدُّرِّيَّة
42	مملكةُ الشَّيْطان
48	القَتيلُ الأوَّل
60	رحلةٌ إلى بيتِ الله
66	على فراشِ الموت
72	الرجوعُ إلى الجَنَّة
78	لقاءُ الأَحَبَّة
82	المحتويات

# للمؤلف

---

- 1 - الرجوع الى الجنة
- 2 - رحلة القلب الى الله
- 3 - هلا كنتَ حاجب الملك
- 4 - التلة البيضاء
- 5 - سلسلة (ويظل الإسلام هو الأفضل) (1) المنهج الإسلامي للبناء الأخلاقي (إعجاز منهجي)